

استحضار واستشعار
نية التقرب إلى الله تعالى
في العبادات والعبادات

من كتب العلامة

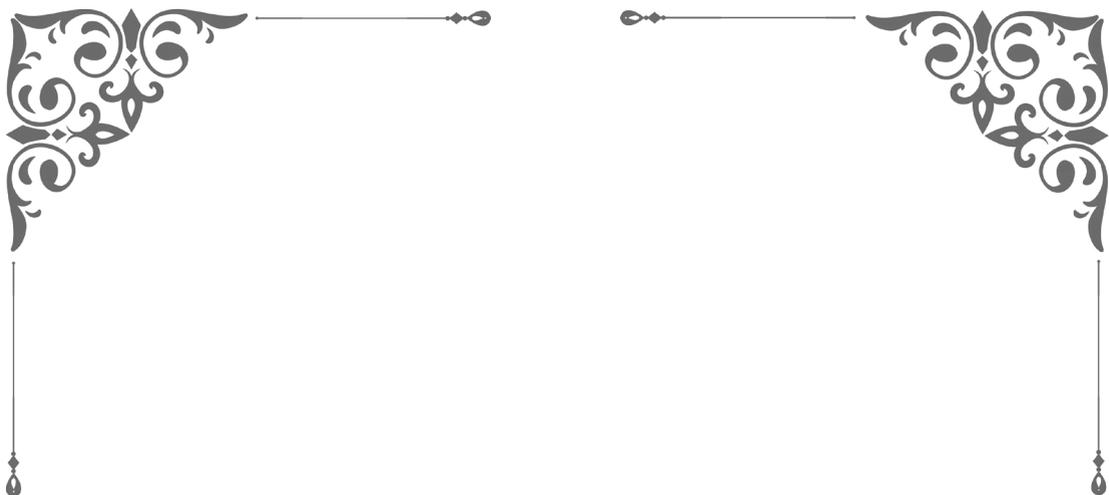
محمد بن صالح العثيمين رَحِمَهُ اللهُ

جمع وإعداد

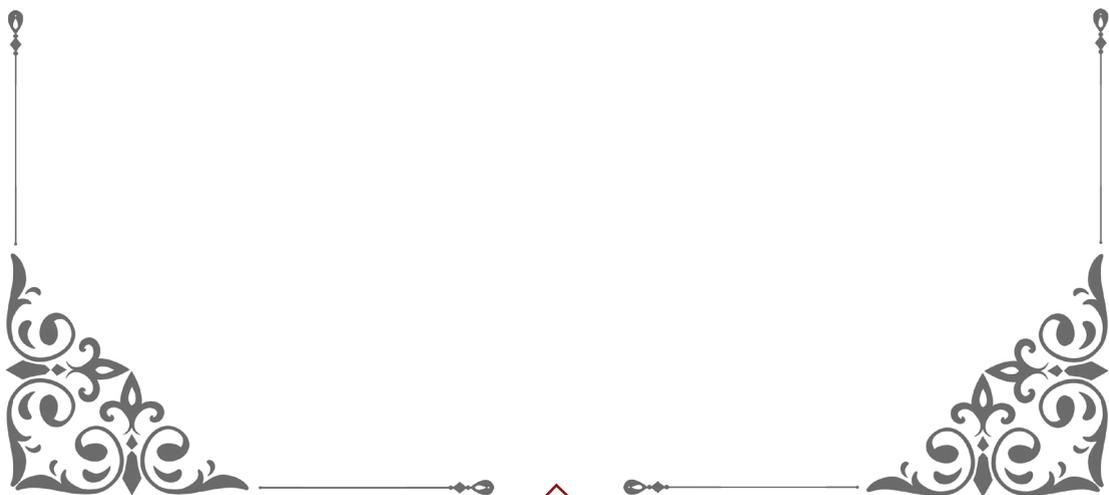
مساعد بن عبد الله السلطان

الطبعة الثانية مصححة ومزودة

١٤٤٣ هـ / ٢٠٢١ م



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله أما بعد:

فعندما كنت أقرأ في كتب شيخنا العلامة محمد بن صالح

العثيمين رَحِمَهُ اللهُ، كان يمر بي خلال قراءتي لهذه الكتب، نفائس

عزيزة قد لا توجد في بطون الكتب، حول ما يتعلق باستحضار

واستشعار نية التقرب إلى الله عَزَّوَجَلَّ في العبادات والعبادات، فكنت

أقيدها لنفسي، ثم رأيت أن أخرجها ليعم نفعها، والله أسأل أن

يجعل عملي خالصاً لوجه الكريم وأن ينفع به.





﴿ وصية العلامة محمد بن صالح العثيمين رَحِمَهُ اللهُ ﴾

حول استحضار نية التقرب إلى الله عَزَّوَجَلَّ

قال رَحِمَهُ اللهُ تعالى: فأوصيك يا أخي ونفسي أن تحرص دائماً على اغتنام الأعمال بالنية الصالحة حتى تكون لك عند الله ذخراً يوم القيامة، فكم من عمل صغير أصبح بالنية كبيراً! وكم من عمل كبير أصبح بالغفلة صغيراً! (١)



(١) انظر شرح رياض الصالحين ٢/ ١٧٤ .



﴿ أهمية استحضار نية التقرب إلى الله عزَّجَل ﴾

ما من عامل إلا وله نية، ولكن النيات تختلف اختلافاً عظيماً،
وتباين تبايناً بعيداً كما بين السماء والأرض.

من الناس من نيته في القمة في أعلى شيء، ومن الناس من نيته
في القمامة في أحس شيء وأدنى شيء؛ حتى إنك لترى الرجلين
يعملان عملاً واحداً يتفقان في ابتدائه وانتهائه وفي أثناءه، وفي
الحركات والسكنات، والأقوال والأفعال، وبينهما كما بين
السماء والأرض، وكل ذلك باختلاف النية.

إذن: الأساس أنه ما من عمل إلا بنية، ولكن النيات تختلف
وتباين. (١)

ولهذا قيل: "أهل اليقظة عاداتهم عبادات، وأهل الغفلة
عباداتهم عادات" كل ذلك من أجل النية. (٢)



(١) انظر شرح رياض الصالحين ١/ ١٨ .

(٢) انظر شرح العقيدة الواسطية ص ٦٨٣ .



﴿ استحضار النية عند العمل ﴾

النِّيَّةُ شَرْطٌ فِي صِحَّةِ جَمِيعِ الْعِبَادَاتِ لِقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى»، والنِّيَّةُ نِيَّتَانِ:

* **الأولى:** نِيَّةُ الْعَمَلِ، وَتَكَلَّمَ عَلَيْهَا الْفُقَهَاءُ رَحِمَهُمُ اللَّهُ أَنَّهُ هِيَ الْمَصْحُوحَةُ لِلْعَمَلِ.

* **الثانية:** نِيَّةُ الْمَعْمُولِ لَهُ، وَهَذِهِ تَكَلَّمَ عَلَيْهَا أَهْلُ التَّوْحِيدِ، وَأَرْبَابُ السُّلُوكِ لِأَنَّهَا تَتَعَلَّقُ بِالْإِخْلَاصِ.

﴿ مثاله ﴾

عند إرادة الإنسان الغسل ينوي الغُسلَ، فهذه نِيَّةُ الْعَمَلِ. لكن إِذَا نَوَى الْغُسْلَ تَقَرُّبًا إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَطَاعَةً لَهُ، فَهَذِهِ نِيَّةُ الْمَعْمُولِ لَهُ، أَي: قَصْدٌ وَجْهَهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وَهَذِهِ الْأَخِيرَةُ هِيَ الَّتِي نَغْفَلُ عَنْهَا كَثِيرًا فَلَا نَسْتَحْضِرُ نِيَّةَ التَّقَرُّبِ، فَالْغَالِبُ أَنَّنَا نَفْعَلُ الْعِبَادَةَ عَلَى أَنَّنَا مُلْزَمُونَ بِهَا، فَنَوِيهَا لِتَصْحِيحِ الْعَمَلِ، وَهَذَا نَقْصٌ، وَلِهَذَا يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى عِنْدَ ذِكْرِ الْعَمَلِ: ﴿أَبْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ﴾ [الرعد: ٢٢] و﴿إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى﴾ [البقرة: ٢٠]، و﴿يَبْتَغُونَ فَضْلًا



مَنْ أَلَّهِ وَرَضُونَا ﴿الحشر: ٨﴾. (١)

إذا عندما نفع العبادات علينا أن نستشعر بأننا نقوم بها امتثالاً
لأمر الله تعالى؛ لأن شعور الإنسان عندما يفعل العبادة بأنه يفعلها
امتثالاً لأمر الله تعالى فإن هذا مما يزيد في إيمانه، ويجد لها لذة،
وهذه هي نية المعمول له، بخلاف الذي يفعل العبادة وهو غافل
عن هذا المعنى، فإن العبادة تكون كالعادة، ولهذا قال المتكلمون
على النيات: إن النية نوعان نية العمل ونية المعمول له، والأخيرة
أعظم مقاماً من الأولى؛ لأن نية العمل تأتي ضرورة، فما من
إنسان عاقل يقوم بعمل إلا وقد نواه وقصده، حتى قال بعض
العلماء رَحِمَهُمُ اللَّهُ: لو كلفنا الله عملاً بلا نية لكان من تكليف ما لا
يطاق، لكن المقام الأسنى والأعلى: نية المعمول له التي تغيب
عنا كثيراً. (٢)



(١) انظر الشرح الممتع ٣٥٨/١.

(٢) انظر شرح حديث جابر في صفة حجة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ص ٣٢.



﴿ استحضار احتساب الأجر على الله تعالى ﴾

هل يشترط للثواب على العمل أن يحتسب الأجر على الله،
أو يحصل له الأجر وإن لم يحتسب ؟

نقول: إن الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: (من صام رمضان إيماناً واحتساباً - ولم يقل: إيماناً فقط، بل قال: إيماناً واحتساباً - غُفِرَ له ما تقدم من ذنبه) واحتساب الأجر له أثر عظيم على إحسان العمل؛ لأنك إذا علمت أنك كما تدين تُدان، وكما تعمل تُجازى، وأن الجزاء على قدر العمل؛ فسوف تحسن العمل، أما إذا شعرت بأنك إذا أديت العمل برئت ذمتك فقط، وأنك لن تعاقب على تركه، فعملك ناقص.

لهذا أحث نفسي وإياكم على استحضار هذا المعنى؛ أنك إذا عملت العمل تحتسب أجره على الله، نقول مثلاً: قال النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: (من أسبغ الوضوء وقال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله فُتِّحَتْ له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء) وزاد الترمذي: (اللهم اجعلني من التوابين



واجعلني من المتطهرين) أريد من نفسي وإياكم أن نستحضر أننا إذا فعلنا ذلك فتَّحت لنا أبواب الجنة حتى نحرض على إسباغ الوضوء، ونحرض على قول كلمة التوحيد بعد الفراغ من الوضوء. فهذه مسألة ينبغي أن نتفطن لها، وهي: احتساب الأجر من الله على هذا العمل. (١)



(١) انظر لقاء الباب المفتوح ص ١٥ .



﴿ فائدة ﴾

أذكر نفسي وإياكم بمسألة مهمة وهي: كلنا يتوضأ إذا أراد الصلاة، لكن أكثر الأحيان يريد الإنسان أن يقوم بشرط العبادة فقط، وهذا لا بأس به، ويحصل به المقصود، لكن هناك شيء أعلى وأتم:

* **أولاً:** إذا أردت أن تتوضأ استشعر أنك ممثّل لأمر الله في قوله: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾ [سورة المائدة: آية ٦] حتى يتحقق لك معنى العبادة.

* **ثانياً:** إذا توضأت استشعر أنك متبع رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فإنه قال: «مَنْ تَوَضَّأَ نَحْوَ وَضُوءِي هَذَا ثُمَّ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ» حينئذ يكون الإخلاص والمتابعة.

* **ثالثاً:** احتسب الأجر على الله عَزَّوَجَلَّ بهذا الوضوء، لأن هذا الوضوء يكفر الخطايا، فتخرج خطايا اليد مع آخر قطرة من قطرات الماء بعد غسل اليد، وهكذا بقية أعضاء الوضوء.



هذه المعاني الثلاثة العظيمة الجليلة أكثر الأحيان نغفل عنها،
كذلك إذا أردت أن تصلي وقمت للصلاة استشعر أمر الله بقوله:
﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ [سورة البقرة: آية ٤٣] ثم استشعر أنك تابع لرسول
الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حيث قال: «صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي» ثم
احتسب الأجر، لأن هذه الصلاة كفارة لما بينها وبين الصلاة
الأخرى، وهلم جراً.

يفوتنا هذا كثيراً ولذلك تجدنا - نسأل الله أن يعاملنا بعفوه -
لا نصطبغ بآثار العبادة كما ينبغي وإلا فنحن نشهد بالله أن الصلاة
تنهى عن الفحشاء والمنكر، ولكن مَنْ مِنَ النَّاسِ إِذَا صَلَّى تَغْيِيرَ
فِكْرِهِ وَنَهْتَهُ صَلَاتِهِ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمَنْكَرِ؟! اللَّهُمَّ إِلَّا قَلِيلًا، لَأَنَّ
المعاني المقصودة مفقودة. (١)



(١) انظر شرح الأربعين النووية ص ٢٥٣ .



﴿ فائدة ﴾

الموفق حقيقة من يستطيع أن يجعل أوقاته وحر كاته وسكناته جميعها عبادة، فإن أكل نوى بذلك التنعم بكرم الله وبفضل الله، والله تعالى يحب من عبده إذا أنعم عليه نعمة أن يرى أثر نعمته عليه، فينوي بأكله وطعامه وشرابه التقوي على طاعة الله، فصار ذلك عبادةً، وينوي بذلك القيام بواجب نفسه؛ لأن الإنسان يجب عليه أن يراعي نفسه، حتى إنه إذا جاع وخاف الموت وجب عليه أن يأكل وجوباً، فإن قال: لا يجب، وأنا صابر على الموت، قلنا: بل يجب أن تأكل لتؤدي النفس حقها، فصار أكلك الآن عبادة، وكذا اللباس؛ فإنك تلبس الثوب تستر عورتك ولتتعم به بالوقاية من البرد أو الحر، قال تعالى: ﴿ وَجَعَلْ لَكُمْ سَرَائِلَ تَقِيكُمْ الْحَرَّ وَسَرَائِلَ تَقِيكُمْ بَأْسَكُمْ ﴾ [سورة النحل: آية ٨١] إلى آخره . المهم: والله إنه تفوت علينا أشياء كثيرة، تضيع علينا، وكله بسبب الغفلة عن النية، وإلا فلو استحضرنّا النية لكانت كل حر كاتنا وسكناتنا عبادة نثاب عليها. (١)



(١) انظر شرح عقيدة أهل السنة والجماعة ص ٤٤١ .



﴿ فائدة ﴾

قال بعض أهل العلم: عبادات أهل الغفلة عادات، وعبادات أهل اليقظة عبادات.

عبادات أهل الغفلة عادات مثاله: من يقوم ويتوضأ ويصلي ويذهب على العادة.

وعبادات أهل اليقظة عبادات مثاله: من يأكل امتثالاً لأمر الله، يريد إبقاء نفسه، ويريد التكفف عن الناس، فيكون ذلك عبادة. ورجل آخر لبس ثوباً جديداً يريد أن يترفع بثيابه، فهذا لا يؤجر، وآخر لبس ثوباً جديداً يريد أن يعرف الناس قدر نعمة الله عليه وأنه غني، فهذا يؤجر.

ورجل آخر لبس يوم الجمعة أحسن ثيابه لأنه يوم جمعة هذه عادة، والثاني لبس أحسن ثيابه تأسيماً بالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فهذه عبادة. (١)



(١) انظر شرح الأربعين النووية ص ١٣.



﴿ فائدة ﴾

تعلم العلم الشرعي فرض كفاية، ومن أراد أن يقوم بعبادة من العبادات كان تعلم أحكامها فرض عين، وبناء على هذا نقول: كل طلبة العلم في كل مكان قائلون بفرض كفاية، ولهذا يحسن بهم أن يستحضروا هذا الأمر، وأننا في مجالسنا هذه نقوم بفرض كفاية نثاب عليه ثواب الفرض، وقد قال الله تعالى: **(ما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه)** وهذه مسألة يغفل عنها كثير من الطلبة، لا في مجالس الذكر والعلم ولا في المجالس الأخرى مجالس المراجعة، تجد الإنسان يراجع الكتاب لكنه لا يستحضر أنه الآن قائم بفرض كفاية، وهذا يفوت خيراً كثيراً، ولهذا نسأل الله أن يعيننا على تذكر هذا المعنى حتى نكسب خيراً بما نقرأه أو نراجعه. ^(١)



(١) انظر تفسير سورة يس ص ٢٤ .



﴿ فائدة ﴾

إذا نويت بطلبك للعلم امتثال أمر الله، صارت كل حركة تتحركها في هذا المجال عبادة، إن راجعت الدرس فعبادة، وإن حفظت فعبادة، وإن مشيت فعبادة، وقد ثبت عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ «مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا، سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ». وهذه مسألة تغيب عنا كثيراً: كثيراً ما نراجع الكتب لتحقيق مسألة ما، ولكن يغيب عنا أننا الآن في عبادة نرجو بها ثواب الله؛ لكن إذا استحضر طالب العلم أنه يمثل أمر الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** بطلب العلم، صار طلبه للعلم عبادة. ^(١)



(١) انظر تفسير سورة غافر ص ١٠ .



﴿ فائدة ﴾

الموظف يؤدي وظيفته أحياناً يؤديها من أجل الراتب. وأحياناً يؤديها من أجل القيام بالعمل الذي به صلاح الناس فعلى الأول يكون عادة لا عبادة، لكن على الثاني يكون عبادة ولا يفوته الراتب. انظر كيف أن النية تجعل العادة عبادة، وربما يحول الإنسان عبادته إلى عادة مع الغفلة كما لو كان يذهب يصلي لأنه اعتاد أن يتوضأ ويذهب ويصلي لكن ما يشعر حينئذ أنه يذهب امثالاً لأمر الله عزَّجَلَّ واتباعاً لرسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وحينئذ يفوته خير كثير ولهذا قيل: «أهل اليقظة عاداتهم عبادات، وأهل الغفلة عباداتهم عادات» كل ذلك من أجل النية. (١)



(١) انظر مجموع الفتاوى ٣٣١ / ٧.



﴿ فائدة ﴾

استشعر وأنت تقول: «الله أكبر» أي: أن الله تعالى أكبر من كل شيء في ذاته وأسمائه وصفاته، وكل ما تحمله هذه الكلمة من معنى. قال الله عزَّجَلَّ: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ۗ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [سورة الزمر: آية ٦٧] وقال عزَّجَلَّ: ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ۗ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدَّا عَلَيْهَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ [سورة الأنبياء: آية ١٠٤] ومن هذه عظمته فهو أكبر من كل شيء. وقال الله تعالى: ﴿وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [سورة الجاثية: آية ٣٧]. فكل معنى لهذه الكلمة من معاني الكبرياء فهو ثابتٌ لله عزَّجَلَّ. (١)



(١) انظر الشرح الممتع ٣/ ٢٢.



﴿ فائدة ﴾

تصور أن الله عَزَّجَلَّ يناجيك وأنت في صلاتك، يسمعك من فوق سبع سموات ويرد عليك، إذا قلت: الحمد لله رب العالمين. قال الله: حمدني عبدي، وإذا قلت: الرحمن الرحيم. قال: أثنى علي عبدي، وإذا قلت: مالك يوم الدين، قال: مجدني عبدي. والتمجيد: التعظيم. ونقرأ الفاتحة على أنها ركن لا تصح الصلاة إلا بها، لكننا لا نشعر بهذه المعاني العظيمة، لا نشعر أننا نناجي الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**. من يشعر بهذا يجد لذة عظيمة للصلاة، ويجد أن قلبه استنار بها، وأنه خرج منها بقلب غير القلب الذي دخل فيها به. ^(١)



(١) انظر مجموع الفتاوى ١٦ / ٨٥.



﴿ فائدة ﴾

المهم أننا نشعر في قولنا: «سُبْحَانَ رَبِّيَ الْأَعْلَى» أَنَّ اللَّهَ عَلِيٌّ
في ذاته، وَعَلِيٌّ في صفاته، بل هو أعلى مِنْ كُلِّ شَيْءٍ، والله تعالى
وَصَفَ نَفْسَهُ أحياناً بالأعلى، وأحياناً بالعليّ، لأن الوصفين
ثابتان له: العلو، وكونه أعلى، كما أنه يوصف بأنه الكبير وأنه
الأكبر، وبالعليم وبالأعلم. وصيغة التفضيل في هذه الأشياء على
بابها، وليست بمعنى اسم الفاعل كما يدعيه بعض العلماء.^(١)



(١) انظر الشرح الممتع ٣/ ١٢٥.



﴿ فائدة ﴾

من أركان الصلاة: الركوع، وهو الانحناء تعظيماً لله **عَزَّوَجَلَّ**، لأنك تستحضر أنك واقف بين يدي الله، فتحنى تعظيماً له **عَزَّوَجَلَّ**، ولهذا قال النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**: (أما الركوع فعظموا فيه الرب **عَزَّوَجَلَّ**)، أي: قولوا سبحان ربي العظيم، لأن الركوع تعظيم بالفعل، وقول: (سبحان ربي العظيم) تعظيم بالقول، فيجتمع التعظيمان بالإضافة إلى التعظيم الأصلي وهو تعظيم القلب لله، لأنك لا تنحنى هكذا إلا لله تعظيماً له، فيجتمع في الركوع ثلاثة تعظيمات:

١ (تعظيم القلب.

٢ (تعظيم الجوارح.

٣ (تعظيم اللسان.

فالقلب: تستشعر أنك ركعت تعظيماً لله، واللسان: تقول سبحان ربي العظيم، والجوارح: تحني ظهرك. ^(١)



(١) انظر شرح رياض الصالحين ١/ ٣٩٢.



﴿ فائدة ﴾

ينبغي للإنسان إذا كان يصلي وقال: سبحان ربي العظيم. أن يستحضر أمر الله في قوله: ﴿ فَسَبِّحْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴾ [سورة الواقعة: آية ٧٤] وأمر الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في قوله: «اجعلوها في ركوعكم» حتى يجمع بين الإخلاص لله، والمتابعة لرسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم. (١)



(١) انظر تفسير سورة الواقعة ص ٣٤٦.



﴿ فائدة ﴾

إذا قلنا في دعاء القنوت: «اللهم اهدنا فيمن هديت» فإننا نسأل الهدايتين، هداية العلم وهداية العمل، كما أن قوله تعالى: ﴿ أَهْدِنَا آلْصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ [الفاتحة: ٦]، يشمل الهدايتين هداية العلم، وهداية العمل، فينبغي للقارئ أن يستحضر أنه يسأل الهدايتين: هداية العلم وهداية العمل.

وقوله: «فيمن هديت» هذه من باب التوسل بإنعام الله تعالى على من هداه، أن ينعم علينا نحن أيضًا بالهداية.

ويعني: أننا نسألك الهداية فإن ذلك من مقتضى رحمتك وحكمتك ومن سابق فضلك فإنك قد هديت أناسًا آخرين.^(١)



(١) انظر شرح دعاء القنوت .



﴿ فائدة ﴾

إذا قلنا في دعاء القنوت: «وعافنا فيمن عافيت» أي: عافنا من أمراض القلوب وأمراض الأبدان.

وينبغي لك يا أخي أن تستحضر وأنت تدعو، أن الله يعافيك من أمراض البدن، وأمراض القلب؛ لأن أمراض القلب أعظم من أمراض البدن ولذلك نقول في دعاء القنوت: «اللهم لا تجعل مصيبتنا في ديننا».

أمراض الأبدان معروفة لكن أمراض القلوب. تعود إلى شيئين:

الأول: أمراض الشهوات التي منشؤها الهوى.

الثاني: أمراض الشبهات التي منشؤها الجهل.

*** فالأول: أمراض الشهوات التي منشؤها الهوى، أن يعرف**

الإنسان الحق، لكن لا يريد؛ لأن له هوى مخالفاً لما جاء

به النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

*** والثاني: أمراض الشبهات التي منشؤها الجهل؛ لأن**

الجاهل يفعل الباطل يظنه حقاً وهذا مرض خطير جداً.



فأنت تسأل الله المعافاة والعافية من أمراض الأبدان، ومن
أمراض القلوب، التي هي أمراض الشبهات، وأمراض
الشهوات.^(١)



(١) انظر شرح دعاء القنوت .



﴿ فائدة ﴾

في قول المصلي: «والطيبات». الطيبات لها معنيان:

* المعنى الأول: ما يتعلّق بالله.

* المعنى الثاني: ما يتعلّق بأفعال العباد.

فما يتعلّق بالله فله من الأوصاف أطيبها، ومن الأفعال أطيبها،
ومن الأقوال أطيبها، قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللَّهَ طَيْبٌ، لَا يَقْبَلُ
إِلَّا طَيْبًا...» يعني: لا يقول إلا الطيب، ولا يفعل إلا الطيب،
ولا يتصف إلا بالطيب، فهو طيب في كل شيء؛ في ذاته وصفاته
وأفعاله.

وله أيضاً من أعمال العباد القولية والفعالية الطيب، فإن الطيب
لا يليق به إلا الطيب ولا يقدم له إلا الطيب، وقد قال الله تعالى:
﴿ الْحَبِيثَاتُ لِلْحَبِيثِينَ وَالْحَبِيثُونَ
لِلْحَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ
لِلطَّيِّبَاتِ ﴾ [سورة النور: آية ٢٦] فهذه سنة الله عز وجل.

فهل أنت أيها المصلي تستحضر حين تقول «الطيبات لله»
هذه المعاني، أو تقولها على أنها ذكر وثناء؟



أغلبُ النَّاسِ على الثاني، لا يستحضر عندما يقول: «الطيبات»
أن الله طيبٌ في ذاته وصفاته وأفعاله وأقواله، وأنه لا يليقُ به إلا
الطيب من الأقوال والأفعال الصَّادرة من الخلق. ^(١)



(١) انظر الشرح الممتع ٣/ ١٤٨ .



﴿ فائدة ﴾

أكد ما يُتطوَّعُ به من العبادات البدنية: الجهاد. وقيل: العلم.
والصحيح: أنه يختلف باختلاف الفاعل؛ وباختلاف الزمن، فقد نقول لشخص: الأفضل في حَقِّك الجهاد، والآخر: الأفضل في حَقِّك العلم، فإذا كان شجاعاً قوياً نشيطاً؛ وليس بذاك الذكي؛ فالأفضل له الجهاد؛ لأنه أليقُّ به. وإذا كان ذكياً حافظاً قوياً الحجة؛ فالأفضل له العلم، وهذا باعتبار الفاعل. وأما باعتبار الزمن؛ فإننا إذا كُنَّا في زمن تَفَشَّى فيه الجهل والبدع، وكَثُرَ مَنْ يُفْتِي بلا علم؛ فالعلم أفضل من الجهاد، وإن كُنَّا في زمن كَثُرَ فيه العلماء؛ واحتاجت الثُّغور إلى مرابطين يدافعون عن البلاد الإسلامية؛ فهنا الأفضل الجهاد. فإن لم يكن مرجح، لا لهذا ولا لهذا؛ فالأفضل العلم.

قال الإمام أحمد: العلم لا يعدُّه شيء لمن صحَّت نيته.
قالوا: كيف تصحُّ النية؟ قال: ينوي بتواضع، وينفي عنه الجهل. وهذا صحيح؛ لأنَّ مَبْنَى الشَّرْعِ كُلُّهُ على العلم، حتى الجهاد مَبْنَاهُ على العلم، ويدلُّ لهذا قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانُ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا



كَأَفَّةً فَلَولا نَفَرَمِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لَيَنفَقَهُوا فِي الدِّينِ وَلَيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾ [سورة التوبة: آية ١٢٢] فَنفى الله أن يُنفر المسلمون كلهم إلى الجهاد، ولكن يُنفر طائفةً ويبقى طائفةً لتتعلّم؛ حتى إذا رجع قومهم إليهم أخبروهم بما عندهم من الشرع، ولكن يجب في الجهاد وفي العلم تصحيح النية؛ وإخلاصها لله عزَّ وجلَّ، وهو شرطٌ شديدٌ؛ أعني: إخلاص النية، كما قال الإمام أحمد رحمه الله: شَرَطُ النِّيَّةِ شَدِيدٌ؛ لكنه حُبَّ إِلَيَّ فجمعتُهُ. (١)



(١) انظر الشرح الممتع ٦/٤ .



﴿ فائدة ﴾

ينبغي للإمام أن يستشعر أنه في مقام الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في إمامة الجماعة فيتأسى به فيما ينبغي أن يكون عليه في الإمامة، ويستشعر المأمومون أنهم في مقام أصحاب الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، فلا يتخلفون عن الجماعة إلا لعذر ولا يفرطون في متابعة الإمام، ولا شك أن ارتباط آخر الأمة بأولها يعطي الأمة الإسلامية دفعة قوية إلى اتباع السلف واتباع هديهم، ولينا كلما فعلنا فعلاً مشروعاً نستشعر أننا نقتدي برسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وبأصحابه الكرام، فإن الإنسان لا شك سيجد دفعة قوية في قلبه تجعله ينضم إلى سلك السلف الصالح، فيكون سلفياً عقيدة وعملاً، وسلوكاً ومنهجاً. (١)



(١) انظر الشرح الممتع ٤/ ١٣٧ .



فائدة

كان النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نهى أولاً عن زيارة القبور؛ لأن الناس حديثو عهد بالكفر والشرك، فخاف أن يكون ذلك وسيلة للإشراك، ولما استقر الإيمان في القلوب أذن لهم. فقال لهم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها»، ثم بين الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الحكمة من ذلك فقال: «فإنها تذكركم الآخرة»، أي: تذكركم بلسان الحال لا بلسان المقال؛ لأن الإنسان إذا جاء إلى القبور، وتذكر أن فلاناً الذي في القبر الآن كان بالأمس معه، يأكل كما يأكل، ويشرب كما يشرب، ويتمتع بمتع الدنيا كما يتمتع، ويستطيع أن يعمل العمل الصالح كما يستطيع هو الآن، إذا تذكر ذلك فلا بد أن يؤثر على قلبه، وأن يستعد لهذا اليوم الذي آل إليه صاحبه بالأمس، فيتذكر أن ماله إلى هذا القبر، وأنه ربما يكون فيه عن قرب، فيتذكر، ويتعظ ويمثل، ولهذا ينبغي للزائر أن يستشعر هذا المعنى، لا أن يستشعر مجرد الدعاء لهم؛ لأن هذا المعنى هو الذي علل به النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الأمر بالزيارة فقال: «فإنها تذكركم الآخرة».^(١)

(١) انظر الشرح الممتع ٣٧٩/٥.



﴿ فائدة ﴾

ينبغي للإنسان أن يستحضر أنه في مجيئه إلى مكة وإحرامه أنه إنما يفعل ذلك تلبية لدعاء الله قال الله تعالى: ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَكُم مِّنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ [سورة الحج: آية ٢٧] فالأذان بأمر الله يعتبر أذاناً من الله فإذا كان الله هو الذي أذن فأنا أجيئه وأقول: لبيك اللهم لبيك ... الخ. (١)



(١) انظر شرح حديث جابر في صفة حجة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ص ٩٢.



﴿ فائدة ﴾

في قول المحرم: «لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك»
«لبيك» الثانية من باب التوكيد اللفظي المعنوي، هو لفظي؛ لأنه لم يتغير عن لفظ الأول، لكن له معنى جديد فيكرر ويؤكد أنه مجيب لربه مقيم على طاعته: لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، لأنك تجيب الله **عَزَّوَجَلَّ** وكلما أحبته ازدادت إيماناً به وشوقاً إليه، فكان التكرير مقتضى الحكمة، ولهذا ينبغي لك أن تستشعر وأنت تقول: «لبيك» نداء الله **عَزَّوَجَلَّ** لك، وإجابتك إياه، لا مجرد كلمات تقال. (١)



(١) انظر الشرح الممتع ١٠٦/٧ .



﴿ فائدة ﴾

قال ابن القيم رَحْمَةُ اللَّهِ:

أما والذي حج المحبون بيته
ولبواله عند المهل وأحرموا
وقد كشفوا تلك الرؤوس تواضعاً
لعزة من تعنوا الوجوه وتسلم

قوله: (وقد كشفوا تلك الرؤوس تواضعاً) أي كشفوا
رؤوسهم في الإحرام تواضعاً لله عَزَّجَلَّ، وهذا أمر معروف إلى
الآن أن الإنسان يكشف رأسه من باب التواضع وتعظيم مَنْ كشف
رأسه من أجله ...

وقوله: (لعزة من تعنوا الوجوه وتسلم) يعني من تعنوا له وهو
الله عَزَّجَلَّ أي تذل له كما قال تعالى: ﴿ وَعَنْتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ ﴾
[سورة طه: آية ١١١] وهذا معنى لا يكاد أحد من المحرمين يشعر به أنه
يكشف الرأس تواضعاً لله عَزَّجَلَّ، ولولا أن المرأة عورة لكان من
تعظيم شعائر الله أن تكشف رأسها لكن هي عورة فصار في حق
الرجل دون المرأة. (١)

(١) انظر التعليق على ميمية ابن القيم ص ٢٥ .



﴿ فائدة ﴾

قال ابن القيم رَحْمَةُ اللَّهِ:

وراحوا إلى جمع فباتوا بمشعر ال
حرام وصلوا الفجر ثم تقدموا
إلى الجمرة الكبرى يريدون رميها
لوقت صلاة العيد ثم تيمموا
منازلهم للنحر يرغبون فضله
وإحياء نسك من أبيهم يعظم
فلو كان يرضى الله نحر نفوسهم
لدانوا به طوعاً وللأمر سلموا
كما بذلوا عند الجهاد نحورهم
لأعدائه حتى جرى منهم الدم
ولكنهم دانوا بوضع رؤوسهم
وذلك ذل للعبيد وميسم



يعني: هؤلاء نزلوا شعور رؤوسهم تعظيماً لله، فإن حلق الرأس لا شك أنه تعظيم، بل إن العسكر الآن إذا مر بهم من يعظمونه خلعوا ما فوق رؤوسهم من القلنسوات تعظيماً له، فهذا تعظيم لله، ولو رضي الله منهم أن يحلقوا نفوسهم لحلقوها، يعني لذبحوا أنفسهم، انظر إلى إبراهيم **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** لما أمره الله تعالى بذبح ابنه ماذا صنع؟ امثل، مع أنه ليس له ابن سواه وقد جاءه على كبر، ولكنه امثالاً لأمر الله استسلم إلا أن رحمة الله **عَزَّجَلَّ** أدركته، فأوحى الله تعالى إليه أن يفديه بذبح عظيم وآتاه أجره كاملاً.. (١)



(١) انظر التعليق على ميمية ابن القيم **رَحْمَةُ اللَّهِ** ص ٣٤.



﴿ فائدة ﴾

الرمل مشروع في الأشواط الثلاثة الأولى فقط، دون الأربعة الباقية، وسبب مشروعية هذا الرمل أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما قدم مكة في عمرة القضية قال المشركون بعضهم لبعض: إنه يقدم عليكم قوم وهنتهم حمى يثرب . يعني أتعبتهم حمى المدينة، ثم جلس بعضهم إلى بعض؛ لينظروا إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ كيف يطوفون؟ فأمر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ عند ذلك أن يرملوا في الأشواط الثلاثة ...

وهذا في عمرة القضية إظهاراً لقوتهم ونشاطهم؛ ولهذا قال بعض المشركين لبعض: إنكم تقولون: إن محمداً وأصحابه وهنتهم حمى يثرب، وإنهم ليشبون وثب الغزلان . يعني: إنهم نشيطون ... إذن ينبغي لنا ونحن نرمل أن نتذكر أن السبب من هذا الرمل إغاشة المشركين؛ لأن إغاشة أعداء الله من شرع الله، قال تعالى: ﴿يُعْجِبُ الرِّزَاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ﴾ [سورة الفتح: آية ٢٩] فإغاشة الكفار من المراد المحبوب لله عزَّ وجلَّ، وينبغي أن يكون محبوباً لنا. (١)

(١) انظر الدروس الفقهية ٢/ ٢١٢ .



﴿ فائدة ﴾

في حديث جابر في صفة حجة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «فلما دنا من الصفا» يعني قرب منه. (قرأ) ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنَ شَعَابِرِ اللَّهِ﴾ [سورة البقرة: آية ١٥٨] أبدأ بما بدأ الله به» وفائدة هذه القراءة إشعار نفسه بأنه إنما اتجه إلى السعي امتثالاً لما أرشد الله إليه في قوله ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنَ شَعَابِرِ اللَّهِ﴾ وليعلم الناس أنهم إنما يسعون بين الصفا والمروة من أجل أنهما من شعائر الله، وليعلم الناس أيضاً أنه ينبغي للإنسان إذا فعل عبادة أن يشعر نفسه أنه يفعلها طاعة لله عَزَّوَجَلَّ كما لو توضأ الإنسان فينبغي أن يستشعر عند وضوئه أن يتوضأ امتثالاً لقوله تعالى: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ﴾ [سورة المائدة: آية ٦]. ويشعر أيضاً أنه يتوضأ كأن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمامه يتبعه في وضوئه وهكذا جميع العبادات فإذا استشعر الإنسان عند فعل العبادة أنه يفعلها امتثالاً لأمر الله فإنه يجد لها لذةً وأثراً طيباً^(١).



(١) انظر شرح حديث جابر في صفة حجة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ص ٣٥



﴿ فائدة ﴾

في حديث جابر في صفة حجة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «فقرأ ﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلِّئًا﴾ [سورة البقرة: آية ١٢٥]» قرأ ذلك في حال نفوذه إشارة إلى أنه إنما فعل ذلك امتثالاً لأمر الله تعالى في قوله ﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلِّئًا﴾ وهذا أمر مطلوب منا عندما نفعل العبادات أن نستشعر بأننا نقوم بها امتثالاً لأمر الله تعالى لأن شعور الإنسان عندما يفعل العبادة بأنه يفعلها امتثالاً لأمر الله تعالى فإن هذا مما يزيد في إيمانه ويجد لها لذة وهذه هي نية المعمول له. بخلاف الذي يفعل العبادة وهو غافل عن هذا المعنى فإن العبادة تكون كالعادة، ولهذا قال المتكلمون على النيات إن النية نوعان نية العمل ونية المعمول له والأخيرة أعظم مقاماً من الأولى لأن نية العمل تأتي ضرورة فما من إنسان عاقل يقوم بعمل إلا وقد نواه وقصده حتى قال بعض العلماء رحمهم الله لو كلفنا الله عملاً بلا نية لكان من تكليف ما لا يطاق. لكن المقام الأسنى والأعلى نية المعمول له التي تغيب عنا كثيراً. (١)

(١) انظر شرح حديث جابر في صفة حجة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ص ٣٢.



﴿ فائدة ﴾

ينبغي لك وأنت تسعى أن تستشعر بأنك في ضرورة إلى
رحمة الله عَزَّوَجَلَّ كما كانت أم إسماعيل رَضِيَ اللهُ عَنْهَا في ضرورة إلى
رحمة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فَكَأَنَّكَ تستغيث به تَبَارَكَ وَتَعَالَى من آثار الذنوب
وأوصابها. (١)



(١) انظر شرح حديث جابر في صفة حجة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ص ١٠١ .



﴿ فائدة ﴾

ينبغي الإسراع في بطن محسر، وهو الوادي الذي بين مزدلفة ومنى؛ لأن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أسرع فيه. والأصل فيما فعله في هذه العبادة أنه من التعبد وليس من العادة حتى يتبين أنه عادة. والظاهر أنه لا يمكن الإسراع الآن؛ لأن الإنسان محبوس بالسيارات فلا يمكن أن يتقدم أو يتأخر وربما ينجس في نفس المكان فيعجز أن يمشي ولكن نقول: هذا شيء بغير اختيار الإنسان فينوي بقلبه أنه لو تسر له أن يسرع لأسرع وإذا علم الله من نيته هذا فإنه قد يشبهه على ما فاته من الأجر والثواب. (١)



(١) انظر شرح حديث جابر في صفة حجة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ص ١٢٨



﴿ فائدة ﴾

أمر نغفل عنه كثيراً، فكثير من الناس في معاشرته لزوجته بالمعروف، قصده أن تدوم العشرة بينهما على الوجه الأكمل، ويغيب عن ذهنه أن يفعل ذلك تقرباً إلى الله تعالى، وهذا كثيراً ما ينساه، ينسيه إياه الشياطين، وعلى هذا فينبغي أن تنوي بهذا أنك قائم بأمر الله: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [سورة النساء: آية ١٩] وإذا نويت ذلك حصل لك الأمر الثاني، وهو دوام العشرة الطيبة، والمعاملة الطيبة، وكذلك بالنسبة للزوجة.

وكذا كل ما أمر به الشرع ينبغي للإنسان عند فعله أن ينوي امثال الأمر ليكون عبادة، ففي الوضوء - مثلاً - إذا أردنا أن نتوضأ نقصد أن هذا شرط من شروط الصلاة، لا بد من القيام به، ونستحضر أننا نقوم بأمر الله تعالى في قوله: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ﴾ [سورة المائدة: آية ٦] قد نذكره أحياناً، ولكننا ننساه كثيراً، وهل عندما نفعل هذا نشعر بأن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كأنه أمامنا، وأنا نقتدي به فنكون بذلك متبعين؟ هذا قد نفعله أحياناً، ولكنه يفوتنا كثيراً، فينبغي للإنسان أن يكون حازماً لا تفوته الأمور والأجور بمثل هذه الغفلة. (١)

(١) انظر الشرح الممتع ٣٨٣/١٢.



﴿ فائدة ﴾

يجب على الإنسان أن يخلص النية لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي جميع عباداته، وأن لا ينوي بعبادته إلا وجه الله والدار الآخرة. وهذا هو الذي أمر الله به في قوله: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [سورة البينة: آية ٥]، أي مخلصين له العمل، ﴿وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ﴾ [سورة البينة: آية ٥] وينبغي أن يستحضر النية، أي: نية الإخلاص في جميع العبادات. فينوي مثلاً الوضوء، وأنه توضأ لله، وأنه توضأ امتثالاً لأمر الله. فهذه ثلاثة أشياء: نية العبادة. ونية أن تكون لله. ونية أنه قام بها امتثالاً لأمر الله. فهذا أكمل شيء في النية. (١)



(١) انظر شرح رياض الصالحين ١/ ١٤.



﴿ فائدة ﴾

اشترط النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للشهادة أن يكون الإنسان يقاتل في سبيل الله، والقتال في سبيل الله؛ أن يقاتل لتكون كلمة الله هي العليا. فيجب على طلبة العلم أن يبينوا للناس أن القتال للوطن ليس قتالاً صحيحاً، وإنما يقاتل لتكون كلمة الله هي العليا، وأقاتل عن وطني؛ لأنه وطن إسلامي، فأحميه من أعدائه وأعداء الإسلام؛ فبهذه النية تكون النية صحيحة، والله الموفق. ^(١)



(١) انظر شرح رياض الصالحين ١ / ٣٥.



﴿ فائدة ﴾

الإِنسان إذا نوى العمل الصالح، ولكنه حبسه عنه حابس فإنه يكتب له أجر ما نوى. أما إذا كان يعمل في حال عدم العذر؛ أي: لما كان قادراً كان يعمل، ثم عجز عنه فيما بعد؛ فإنه يكتب له أجر العمل كاملاً، لأن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «إذا مرض العبد أو سافر كتب له مثل ما كان يعمل مقيماً صحيحاً».

فالمتمني للخير، الحريص عليه؛ إن كان من عادته أنه كان يعمل، ولكنه حبسه عنه حابس، كتب له أجره كاملاً.

فمثلاً: إذا كان الإنسان من عادته أن يصلي مع الجماعة في المسجد، ولكنه حبسه حابس، كنوم أو مرض، أو ما أشبهه فإنه يكتب له أجر المصلي مع الجماعة تماماً من غير نقص.

وكذلك إذا كان من عادته أن يصلي تطوعاً، ولكنه منعه منه مانع، ولم يتمكن منه؛ فإنه يكتب له أجره كاملاً، وكذلك إن كان من عادته أن يصوم من كل شهر ثلاثة أيام، ثم عجز عن ذلك، ومنعه مانع، فإنه يكتب له الأجر كاملاً. وغيره من الأمثلة الكثيرة.



أما إذا كان ليس من عاداته أن يفعله؛ فإنه يكتب له أجر النية فقط، دون أجر العمل. ودليل ذلك: أن فقراء الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ قالوا: يا رسول الله سبقنا أهل الدثور بالدرجات العلى، والنعيم المقيم - يعني: أن أهل الأموال سبقوهم بالصدقة والعتق - فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أفلا أخبركم بشيء إذا فعلتموه أدركتم من سبقكم ولم يدركم أحد إلا من عمل مثل ما عملتم!! فقال: تسبحون وتكبرون وتحمدون دبر كل صلاة ثلاثاً وثلاثين» ففعلوا، فعلم الأغنياء بذلك؛ ففعلوا مثلما فعلوا، فجاء الفقراء إلى الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقالوا: يا رسول الله سمع إخواننا أهل الأموال بما فعلنا؛ ففعلوا مثله، فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء» والله ذو الفضل العظيم. ولم يقل لهم: إنكم أدركتم أجر عملهم، ولكن لا شك أن لهم أجر نية العمل.

ولهذا ذكر النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فيمن آتاه الله مالاً؛ فجعل ينفقه في سبل الخير، وكان رجل فقير يقول: لو أن لي مال فلان لعملت فيه مثل عمل فلان، قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فهو بنيته، فأجرهما سواء». أي سواء في أجر النية، أما العمل فإنه لا يكتب له أجره إلا إن كان من عاداته أن يعملها. (١)

(١) انظر شرح رياض الصالحين ١/ ٣٦.



﴿ فائدة ﴾

قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (صلاة الرجل في جماعة تزيد على صلاته في بيته وصلاته في سوقه بضعاً وعشرين درجة، وذلك أن أحدهم إذا توضأ فأحسن الوضوء، ثم أتى المسجد لا ينهزه إلا الصلاة، لا يريد إلا الصلاة، فلم يخط خطوة إلا رفع له بها درجة، وحط عنه بها خطيئة حتى يدخل المسجد، فإذا دخل المسجد كان في الصلاة، ما كانت الصلاة هي تحبسه، والملائكة يصلون على أحدكم ما دام في مجلسه الذي صلى فيه يقولون: اللهم ارحمه، اللهم اغفر له، اللهم تب عليه، ما لم يؤذ فيه، ما لم يحدث فيه) متفق عليه، قوله: (فلم يخط خطوة إلا رفع له بها درجة، وحط عنه بها خطيئة) سواء أقرب مكانه من المسجد أم بعد، كل خطوة يحصل بها فائدتان:

الفائدة الأولى: أن الله يرفعه بها درجة.

والفائدة الثانية: أن الله يحط عنه بها خطيئة، وهذا فضل عظيم. حتى يدخل المسجد؛ فإذا دخل المسجد فصلى ما كتب له، ثم جلس ينتظر الصلاة؛ (فإنه في صلاة ما انتظر الصلاة)؛ وهذه أيضاً



نعمة عظيمة؛ لو بقيت منتظراً للصلاة مدة طويلة، وأنت جالس لا تصلي - بعد أن صليت تحية المسجد، وما شاء الله - فإنه يحسب لك أجر الصلاة. وهناك أيضاً شيء رابع: أن الملائكة تصلي عليه ما دام في مجلسه الذي صلى فيه، تقول (اللهم صل عليه، اللهم اغفر له، اللهم ارحمه، اللهم تب عليه) وهذا أيضاً فضل عظيم لمن حضر بهذه النية وبهذه الأفعال.

والشاهد من هذا الحديث قوله: (ثم خرج من بيته إلى المسجد لا يخرج إلا الصلاة) فإنه يدل على اعتبار النية في حصول هذا الأجر العظيم. أما لو خرج من بيته لا يريد الصلاة، فإنه لا يكتب له هذا الأجر؛ مثل أن يخرج من بيته إلى دكانه؛ ولما أذن ذهب يصلي؛ فإنه لا يحصل على هذا الأجر؛ لأن الأجر إنما يحصل لمن خرج من البيت لا يخرج إلا الصلاة. لكن ربما يكتب له الأجر من حين أن ينطلق من دكانه، أو من مكان بيعه وشرائه إلى أن يصل إلى المسجد؛ ما دام انطلق من هذا المكان وهو على طهارة. والله الموفق. (١)

(١) انظر شرح رياض الصالحين ١/ ٧٣.



﴿ فائدة ﴾

قال **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: (ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب، ولا هم ولا حزن، ولا أذى ولا غم، حتى الشوكة يشاكها، إلا كفر الله بها من خطاياها) متفق عليه، هذا الحديث: فيه دليل على أن الإنسان يكفر عنه بما يصيبه من الهم والنصب والغم وغير ذلك، وهذا من نعمة الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، يتبلى **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** عبده بالمصائب وتكون تكفيراً لسيئاته وخطأً لذنوبه.

والإنسان في هذه الدنيا لا يمكن أن يبقى مسروراً دائماً، بل هو يوماً يسر ويوماً يحزن، ويوماً يأتيه شيء ويوماً لا يأتيه، فهو مصاب بمصائب في نفسه ومصائب في بدنه. ومصائب في مجتمعه ومصائب في أهله، ولا تحصي المصائب التي تصيب الإنسان، ولكن المؤمن أمره كله خير، إن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له، وإن أصابته سراء شكر فكان خيراً له.

فإذا أصبت بالمصيبة فلا تظن أن هذا الهم الذي يأتيك أو هذا الألم الذي يأتيك ولو كان شوكة، لا تظن أنه يذهب سدى، بل ستعوض عنه خيراً منه، ستحط عنك الذنوب كما تحط الشجرة ورقها، وهذا من نعمة الله.



وإذا زاد الإنسان على ذلك الصبر والاحتساب، يعني: احتساب الأجر، كان له مع هذا أجر. فالمصائب تكون على وجهين:

١ - تارة إذا أصيب الإنسان تذكراً للأجر واحتساب هذه المصيبة على الله، فيكون فيها فائدتان: تكفير الذنوب؛ وزيادة الحسنات.

٢ - وتارة يغفل عن هذا فيضيق صدره، ويصيبه ضجر أو ما أشبه ذلك، ويغفل عن نية احتساب الأجر والثواب على الله، فيكون في ذلك تكفير لسيئاته، إذاً هو رابح على كل حال في هذه المصائب التي تأتيه. فإما أن يربح تكفير السيئات وخط الذنوب بدون أن يحصل له أجر؛ لأنه لم ينو شيئاً ولم يصبر ولم يحتسب الأجر.

وإما أن يربح شيئاً: تكفير السيئات، وحصول الثواب من الله عزَّ وجلَّ كما تقدم. ولهذا ينبغي للإنسان إذا أصيب ولو بشوكة، فليذكر احتساب الأجر من الله على هذه المصيبة، حتى يؤجر عليها، مع تكفيرها للذنوب. وهذا من نعمة الله سبحانه وتعالى وجوده وكرمه، حيث يتلى المؤمن ثم يشبه على هذه البلوى أو يكفر عنه سيئاته. (١)

(١) انظر شرح رياض الصالحين ١/ ٢٤٤.



فائدة

قصة غريبة رواها أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أنه بينا رجل يمشي في الطريق مسافراً، أصابه العطش، فنزل بئراً فشرب منها، وانتهى عطشه، فلما خرج، وإذا بكلب يأكل الثرى من العطش، يعني: يأكل الطين المبتل الرطب، يأكله من العطش، من أجل أن يمص ما فيه من الماء، من شدة عطشه، فقال الرجل: والله لقد أصاب الكلب من العطش ما أصابني، أو بلغ بهذا الكلب من العطش ما بلغ بي، ثم نزل البئر وملاً خفه ماء. الخف: ما يلبس على الرجل من جلود ونحوها، فملاًه ماء فأمسكه بفيه، وجعل يصعد بيديه، حتى صعد من البئر، فسقى الكلب، فلما سقى الكلب شكر الله له ذلك العمل، وغفر له، وأدخله الجنة بسببه. وهذا مصداق قول النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: (الجنة أقرب إلى أحدكم من شراك نعله، والنار مثل ذلك)،** عمل يسير شكر الله به عامل هذا العمل، وغفر له الذنوب، وأدخله الجنة.

ولما حدث صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الصحابة بهذا الحديث، وكانوا **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ** أشد الناس حرصاً على العلم، لا من أجل أن يعلموا



فقط، ولكن من أجل أن يعلموا فيعملوا. سألوا النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** قالوا: يا رسول الله، إن لنا في البهائم أجرًا؟ قال: **(في كل ذات كبد رطبة أجر)**؛ لأن هذا كلب من البهائم، فكيف يكون لهذا الرجل الذي سقاه هذا الأجر العظيم؟ هل لنا في البهائم من أجر؟ قال: **(في كل ذات كبد رطبة أجر)** الكبد الرطبة تحتاج إلى الماء؛ لأنه لولا الماء لبيست وهلك الحيوان.

إذن نأخذ من هذه قاعدة، وهي أن الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ إذا قص علينا قصة من بني إسرائيل فذلك من أجل أن نعتبر بها، وأن نأخذ منها عبرة، وهذا كما قال الله **عَزَّوَجَلَّ: ﴿لَقَدْ كَانَتْ فِي قَصصِهِمْ عِبْرَةً لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾** [سورة يوسف: آية ١١١].

وفي رواية أخرى، ولعلها قصة أخرى، أن امرأة بغياً من بغايا بني إسرائيل، يعني أنها تمارس الزنا - والعياذ بالله - رأت كلباً يطوف بركية، يعني يدور عليها عطشان، لكن لا يمكن أن يصل إلى الماء؛ لأنها ركية بئر، فنزعت موقها - يعني الخف الذي تلبسه - واستقت له به من هذا البئر، فغفر الله لها.



فدل هذا على أن البهائم فيها أجر. كل بهيمة أحسنت لها بسقي، أو إطعام، أو وقاية من حر، أو وقاية من برد، سواء كانت لك أو لغيرك من بني آدم، أو كانت من السوائب، فإن لك في ذلك أجراً عند الله **عَزَّجَلَّ** هذا وهن بهائم؛ فكيف بالآدميين؟ إذا أحسنت إلى الآدميين كان أشد وأكثر أجراً. ولهذا قال النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**: (من سقى مسلماً على ظمأ سقاه الله من الرحيق المختوم)، يعني لو كان ولدك الصغير وقف عند البرادة يقول لك: أريد ماء، وأسقيته وهو ظمآن، فقد سقيت مسلماً على ظمأ، فإن الله يسقيك من الرحيق المختوم.

أجر كثير، والله الحمد، غنائم ولكن أين القابل لهذه الغنائم؟

أين الذي يخلص النية، ويحتسب الأجر على الله عَزَّجَلَّ؟

فأوصيك يا أخي ونفسي أن تحرص دائماً على اغتنام الأعمال بالنية الصالحة حتى تكون لك عند الله ذخراً يوم القيامة، فكم من عمل صغير أصبح بالنية كبيراً! وكم من عمل كبير أصبح بالغفلة صغيراً!. (١)

(١) انظر شرح رياض الصالحين ٢/ ١٧١ .



﴿ فائدة ﴾

الطهارة تنقسم إلى قسمين: طهارة معنوية وطهارة حسية، فالطهارة المعنوية، وهي التي ينبغي أن يقصدها المسلم، فهي تطهيره من الذنوب، فإذا غسل وجهه، خرجت كل خطايا نظر إليها بعينه، وذكر العين - والله أعلم - إنما هو على سبيل التمثيل، وإلا فالأنف قد يخطئ، والفم قد يخطئ؛ فقد يتكلم الإنسان بكلام حرام، وقد يشم أشياء ليس له حق أن يشمها، ولكن ذكر العين؛ لأن أكثر ما يكون الخطأ في النظر. فلذلك إذا غسل الإنسان وجهه بالوضوء خرجت خطايا عينيه، فإذا غسل يديه خرجت خطايا يديه، فإذا غسل رجليه خرجت خطايا رجليه، حتى يكون نقياً من الذنوب. ولهذا قال الله تعالى حين ذكر الوضوء والغسل والتيمم: ﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهَّرَكُمْ﴾، يعني ظاهراً وباطناً، حساً ومعنى، ﴿وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [سورة المائدة: آية ٦]، فينبغي للإنسان إذا توضأ أن يستشعر هذا المعنى، أي أن وضوءه يكون تكفيراً لخطيئاته، حتى يكون بهذا الوضوء محتسباً الأجر على الله عزَّجَلَّ والله الموفق. (١)

(١) انظر شرح رياض الصالحين ٢/ ١٨٢ .



﴿ فائدة ﴾

لا شك أن للنية أثراً كبيراً في صحة الأعمال، وأثراً كبيراً في ثوابها، وكم من شخصين يصليان جميعاً بعضهما إلى جنب بعض، ومع ذلك يكون بينهما في الثواب مثل ما بين السماء والأرض، وذلك بصلاح النية وحسن العمل، فكلما كان الإنسان أصدق إخلاصاً لله وأقوى اتباعاً لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان أكثر أجراً، وأعظم أجراً عند الله عَزَّوَجَلَّ.^(١)



(١) انظر شرح رياض الصالحين ٢/٢٠٠.



﴿ فائدة ﴾

ينبغي للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أن يقصد بذلك إصلاح الخلق وإقامة شرع الله، لا أن يقصد الانتقام من العاصي، أو الانتصار لنفسه، فإنه إذا نوى هذه النية لم ينزل الله البركة في أمره ولا نهيه؛ بل يكون كالطبيب يريد معالجة الناس ودفع البلاء عنهم، فينوي بأمره ونهيه أولاً: إقامة شرع الله، وثانياً: إصلاح عباد الله، حتى يكون مصلحاً وصالحاً، نسأل الله أن يجعلنا من الهداة المهتدين المصلحين إنه جواد كريم. (١)



(١) انظر شرح رياض الصالحين ٢/٤٠٨ .



﴿ فائدة ﴾

كان كلام النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فصلاً يعني مفصلاً، لا يدخل الحروف بعضها على بعض، ولا الكلمات بعضها على بعض، حتى لو شاء العاد أن يحصيه لأحصاه من شدة تأنيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الكلام، وهكذا ينبغي للإنسان أن لا يكون كلامه متداخلاً بحيث يخفى على السامع؛ لأن المقصود من الكلام هو إفهام المخاطب، وكلما كان أقرب إلى الإفهام كان أولى وأحسن. ثم إنه ينبغي للإنسان إذا استعمل هذه الطريقة؛ يعني إذا جعل كلامه فصلاً بيناً واضحاً وكرره ثلاث مرات لمن لم يفهم، ينبغي أن يستشعر في أنه متبع لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتى يحصل له بذلك الأجر وإفهام أخيه المسلم، وهكذا جميع السنن اجعل على بالك أنك متبع فيها لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتى يتحقق لك الإتياع وثوابه. (١)



(١) انظر شرح رياض الصالحين ٤/ ٦٦ .



﴿ فائدة ﴾

ورد في الحديث أن «من توضأ فأحسن الوضوء خرجت خطايا من جسده، حتى تخرج من تحت أظفاره» وعلى هذا فالوضوء يكون سبباً لكفارة الخطايا حتى من أدق مكان وهو ما تحت الأظفار، وهذا الحديث وأمثاله يدل على أن الوضوء من أفضل العبادات، وأنه عبادة ينبغي للإنسان أن ينوي به التقرب إلى الله عزَّوجلَّ يعني: أن يستحضر وهو يتوضأ أنه يتقرب إلى الله، كما أنه إذا صلى يستشعر بأنه يتقرب إلى الله كذلك وهو يتوضأ، ويستشعر بأنه يمثل أمر الله في قوله ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ﴾ [سورة المائدة: آية ٦] ويستشعر أيضاً بأنه متبع لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في وضوئه، وكذلك أيضاً يستحضر أنه يريد الثواب وأنه يثاب على هذا العمل حتى يتقنه ويحسنه والله الموفق. (١)



(١) انظر شرح رياض الصالحين ١١/٥ .



﴿ فائدة ﴾

للوضوء فضائل منها: حديث عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه توضأ: فغسل كفيه ثلاثاً، وتمضمض، واستنشق ثلاثاً، بثلاث غرفات، وغسل وجهه ثلاثاً، وغسل يديه إلى المرفقين ثلاثاً، ومسح رأسه بيديه فأقبل بهما وأدبر، ومسح أذنيه، وغسل رجليه ثلاثاً إلى الكعبين. قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **(من توضأ نحو وضوئي هذا ثم صلى ركعتين لا يحدث بهما نفسه غفر الله له ما تقدم من ذنبه)** وهذا شيء يسير - والله الحمد - أن الإنسان يعمل هذا العمل ثم يغفر ما تقدم من ذنبه. وأخذ العلماء من ذلك أنه يستحب لمن أسبغ الوضوء أن يصلي ركعتين، وتسمى سنة الوضوء، سواء في الصباح أو في المساء، في الليل أو النهار، بعد الفجر أو بعد العصر؛ لأنها سنة لها سبب، فإذا توضأ الإنسان نحو وضوء الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فإنه يصلي ركعتين ليغفر له ما تقدم من ذنبه. وفي هذا الحديث قال: **(وكان مشيه إلى المسجد وصلاته نافلة)** يعني: زائداً على مغفرة الذنوب، وليس معنى نافلة يعني صلاة تطوع، قد تكون صلاة فريضة، ولكن نافلة: يعني شيئاً زائداً على مغفرة الذنوب؛ لأن ذنوبه غفرت بوضوئه، وصلاته الأولى، فيكون مشيه



للمسجد وصلاته ولو فريضة نافلة أي زيادة على مغفرة الذنوب؛ لأن النفل في اللغة معناه الزيادة، كما قال الله تعالى: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ﴾ [سورة الإسراء: آية ٧٩].

ومن فضائل الوضوء: حديث أبي هريرة في أن الوضوء تخرج به الخطايا، إذا غسلت وجهك خرجت خطايا وجهك مع الماء أو مع آخر قطر الماء، (أو) هنا للشك من الراوي، وعلى كل حال فإن الإنسان إذا غسل وجهه خرجت خطايا وجهه، وإذا غسل يديه خرجت خطايا يديه التي كان قد بطش بها، وإذا غسل رجليه خرجت خطايا رجليه حتى يخرج نقياً من الذنوب - والله الحمد - فهذا دليل على فضيلة الوضوء. ولكن مَنْ منا يستحضر هذا الفضل؟! فهل يكتب هذا الفضل للإنسان سواء استحضره أم لا؟ الظاهر - إن شاء الله - أنه يكتب له سواء استحضر أو لم يستحضر، لكن إذا استحضر فهو أكمل؛ لأنه إذا استحضر هذا احتسب الأجر على الله **عَزَّوَجَلَّ** وأيقن أنه سيجازى ويكافأ على هذا العمل جزاءً وفاقاً بخلاف ما إذا توضأ وهو غافل، ولكننا نرجو من الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** أن يكتب هذا الأجر حتى من الإنسان الغافل الذي يتوضأ على سبيل إبراء ذمته، والله الموفق. ^(١)

(١) انظر شرح رياض الصالحين ١٤/٥.



﴿ فائدة ﴾

ينبغي للإنسان أن يأتي إلى المسجد ماشياً ويرجع ماشياً هذا هو الأفضل، ودليل ذلك قصة الأنصاري الذي كان بعيد الدار فقيل له: "لو اشتريت حماراً تركبه في الظلماء والرمضاء" فقال: لا أشترى، أنا أحسب على الله خطاي ذاهباً وراجعاً، فقال النبي **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: "قد كتب الله لك ذلك كله" فدل ذلك على أن المجيء إلى المسجد على قدميه أفضل من المجيء على مركوبه؛ لأنه يحسب له أجر الخطأ، ولكن إذا كان الإنسان معذوراً فلا بأس أن يأتي بالسيارة، وخطوة السيارة دورة لعجلتها، إذا دار عجلها دورة واحدة فهذه تعتبر خطوة؛ لأنه عند دورانه يرتفع الذي باشر الأرض ثم يدور حتى يرجع ثانية إلى الأرض فهو كرفع القدم من الأرض ثم وضعها مرة ثانية فإذا كان الإنسان معذوراً فلا بأس أن يأتي بالسيارة، وهذا أيضاً من فضائل المشي إلى المساجد: أن الله تعالى يكتب للإنسان الخطوات كلما ذهب وكلما رجع. (١)

(١) انظر شرح رياض الصالحين ٥/ ٦٢.



﴿ فائدة ﴾

السلام: بمعنى الدعاء بالسلامة من كل آفة، فإذا قلت لشخص: السلام عليك فهذا يعني أنك تدعو له بأن الله يسلمه من كل آفة: يسلمه من المرض، يسلمه من الجنون، يسلمه من شر الناس، يسلمه من المعاصي وأمراض القلوب، يسلمه من النار، فهو لفظ عام . **معناه:** الدعاء للمسلم عليه بالسلامة من كل آفة.

وكان الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ من محبتهم لله عَزَّجَلَّ كانوا يقولون في صلاتهم: السلام على الله من عباده، السلام على جبريل، السلام على فلان وفلان، فنهاهم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يقولوا: السلام على الله من عباده، وقال: "إن الله هو السلام" يعني: السالم من كل عيب ونقص جَلَّ وَعَلَا فلا حاجة أن تثنى عليه بالدعاء بأن يسلم نفسه. ثم قال لهم: قولوا: "السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، فإنكم إذا قلتم ذلك سلمتم على كل عبد صالح في السماء والأرض" ولا أدري هل نحن نستحضر هذا إذا قلنا في الصلاة: "السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين؟!".



لا أدري هل نحن نستحضر أننا نسلم على أنفسنا، السلام علينا، وعلى كل عبد صالح في السماء والأرض، يعني نسلم على الأنبياء، نسلم على الصحابة، نسلم على التابعين لهم بإحسان، نسلم على أصحاب الأنبياء؛ كالحواريين أصحاب عيسى، والذين اختارهم موسى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ سبعين رجلاً، وغير ذلك؟!!

هل نحن نستحضر أننا نسلم على جبريل وعلى ميكائيل وعلى إسرافيل وعلى مالك خازن النار وعلى خازن الجنة وعلى جميع الملائكة؟! لا أدري هل نحن نستحضر هذا أم لا؟ إن كنا لا نستحضر فيجب أن نستحضر ذلك. لأن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: "إنكم إذا قلتم ذلك سلمتم على كل عبد صالح في السماء والأرض".^(١)



(١) انظر شرح رياض الصالحين ٤ / ٣٨١.



﴿ فائدة ﴾

الذي يطلب العلوم الشرعية في الجامعة من أجل أن ينال الشهادة

نقول: ما الذي تريده: هل أنت تريد أن تنال الشهادة من أجل أن

تكون في المرتبة الفلانية وراتبك كذا وكذا، إذا قال: نعم، أنا أريد

هذا نقول: خبت وخسرت، ما دمت تريد الدنيا . أما إذا قال: لا،

أنا أريد أن أنفع الخلق؛ لأنه الآن لا يمكن الوصول إلى نفع الخلق

بالتدريس إلا بالشهادات وأنا أريد أن أصل إلى هذا، كما أنه لا ينال

الإنسان وظيفة كبيرة يكون قائداً فيها على جماعة من المسلمين إلا

بالشهادة وأنا أريد هذا، قلنا؛ الحمد لله، هذه نية طيبة وليس عليك

شيء، والأعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوى.

المهم: أن تحذر أخي طالب العلم من النيات السيئة، فالعلم

الشرعي أعز وأرفع وأعلى من أن تريد به عرضاً زائلاً من الدنيا،

ولو بقيت عندك الدنيا فلا بد إما أن تفارقها أو تفارقك، إما أن

تفتقر وتعدم المال وإما أن تموت ويذهب المال لغيرك.



لكن أمور الآخرة باقية، فلماذا تجعل العلم الشرعي الذي هو من أجل العبادات وأفضل العبادات سلماً لتنال به عرضاً من الدنيا؟ إن هذا سفه في العقل وضلال في الدين، لا بد أن تجعل العلم الشرعي لله **عَزَّجَلَّ** ولحماية شريعته **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، ورفع الجهل عن نفسك وعن إخوانك المسلمين وللدلالة على الهدى ولتنال ميراث النبي **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** لأن العلماء ورثة الأنبياء، نسأل الله أن يخلص لنا ولكم النية ويصلح العمل، إنه على كل شيء قدير. ^(١)



(١) انظر شرح رياض الصالحين ٥ / ٤٥١ .



﴿ فائدة ﴾

الإحسان إلى عباد الله: أن تعاملهم بما هو أحسن؛ في الكلام، والأفعال، والبذل، وكف الأذى، وغير ذلك، حتى في القول؛ فإنك تعاملهم بالأحسن، قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّتُمْ بِنَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا﴾ [سورة النساء: آية ٨٦]، يعني: إن لم تفعلوا فتردوا بأحسن منها، فلا أقل من أن تردوها؛ ولهذا قال كثير من العلماء: إذا قال المسلم: السلام عليكم ورحمة الله، قل: وعليكم السلام ورحمة الله. هذا أدنى شيء، فإن زدت: (وبركاته) فهو أفضل؛ لأن الله قال: بأحسن منها، فبدأ بالأحسن ثم قال: ﴿أَوْ رُدُّوهَا﴾ كذلك إذا سلم عليك إنسان بصوت واضح بين؛ ترد عليه بصوت واضح بين على الأقل، كثير من الناس - أو بعض الناس - إذا سلمت عليه رد عليك السلام بأنفه، حتى إنك تكاد لا تسمعه في رد السلام، وهذا غلط؛ لأن هذا خلاف ما سلم عليك به، يسلم عليك بصوت واضح ثم ترد بأنفك!! هذا خلاف ما أمر الله به.



كذلك الإحسان بالفعل؛ مثل معونة الناس ومساعدتهم في أمورهم. فإذا ساعدت إنساناً فقد أحسنت إليه، مساعدة بالمال، بالصدقة بالهدية، بالهبة وما أشبه ذلك هذا من الإحسان.

ومن الإحسان أيضاً: أنك إذا رأيت أخاك على ذنب؛ أن تبين له ذلك وتنهاه عنه؛ لأن هذا من أعظم الإحسان إليه، قال النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: (انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً) قالوا: يا رسول الله، هذا المظلوم فكيف ننصر الظالم؟ قال: (أن تمنعه من الظلم) فإن منعك إياه من الظلم نصر له وإحسان إليه، والمهم أنه ينبغي لك - في معاملة الناس - أن تستحضر هذه الآية ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [سورة المائدة: آية ٩٣] فتحسن إليهم بقدر ما تستطيع. (١)



(١) انظر شرح رياض الصالحين ١٣/٢.



﴿ فائدة ﴾

قال الله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا ۗ

وَكَانُوا بآيَاتِنَا يُوْقِنُونَ ﴿٢٤﴾ [سورة السجدة: آية ٢٤]، لما صبروا على

طاعة الله، وصبروا عن معصية الله، وصبروا على أقدار الله؛ صبروا

على طاعة الله ففعلوا ما أمر، وصبروا عن معصية الله فتركوا ما

نهى عنه، وصبروا على أقدار الله التي تأتيهم من أجل دعوتهم

إلى الحق وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر؛ لأن الإنسان

إذا نصب نفسه داعية للحق آمراً بالمعروف وناهياً عن المنكر،

فلا بد أن يصيبه من الأذى ما يصيبه، لأن أكثر الذين يكرهون الحق

سوف يكونون أعداء له فليصبر، وكذلك أقدار الله التي تأتي بدون

هذا أيضاً يصبرون عليها.

﴿ وَكَانُوا بآيَاتِنَا يُوْقِنُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ يوقنون بما أخبر الله به، ويوقنون

بالجزاء الذي يحصل لهم في فعل الأوامر، وترك النواهي، وفي

الدعوة إلى الله، وفي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أي أنهم



يعملون وهم يوقنون بالجزاء، وهذه نقطة ينبغي لنا أن ننتبه لها، أن نعمل ونحن نوقن بالجزاء، كثير من الناس يعملون، يصلون ويصومون ويتصدقون بناء على أن هذا أمر الله، وهذا طيب ولا شك أنه خير، لكن ينبغي أن تدرك وأن تستحضر بأنك إنما تفعل هذا رجاء الثواب وخوف العقاب، حتى تكون موقناً بالآخرة.

وقد أخذ شيخ الإسلام رَحْمَةُ اللَّهِ مِنْ هَذِهِ الْآيَةِ عِبَارَةَ طَيِّبَةً، فَقَالَ: (بالصبر واليقين تنال الإمامة في الدين) أخذها من قوله تعالى: ﴿لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [سورة السجدة: آية ٢٤]، فبالصبر واليقين تنال الإمامة في الدين.

أسأل الله أن يجعلني وإياكم أئمة في دين الله، هداة لعباد الله مهتدين، إنه جواد كريم. (١)



(١) انظر شرح رياض الصالحين ٢/ ٣٤٠.



﴿ فائدة ﴾

كان النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يعلم الرجل إذا أسلم كيف يصلي ويأمره بهذا الدعاء: "اللهم اغفر لي وارحمني واهدني وعافني وارزقني" خمس كلمات يعلمها النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الرجل إذا أسلم .

(اللهم اغفر لي) يعني اغفر لي الذنوب، والكافر إذا أسلم غفر الله له ذنوبه كما قال الله تعالى: ﴿ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَّا قَدْ سَلَفَ ﴾ [سورة الأنفال: آية ٣٨] ولكن طلب المغفرة مشروع حتى بعد الإسلام من كل مسلم؛ لأن الإنسان لا يخلو من الذنوب، كما جاء في الحديث: "وخير الخطائين التوابون".

(وارحمني) يعني: أسبغ علي رحمتك، ففي طلب المغفرة النجاة من السيئات والآثام والعقوبات، وفي طلب الرحمة حصول المطلوبات؛ لأن الإنسان لا يتم له الأمر إلا إذا نجا من المكروب وفاز بالمطلوب.



(وأهدني) وقد سبق لنا بيان معنى "الهداية" أنها هداية علم وبيان، وهداية توفيق ورشد .

(وعافني) أي: من كل مرض، والأمراض نوعان: مرض قلبي كما قال تعالى: ﴿ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا ﴾ [سورة البقرة: آية ١٠] ومرض جسمي في أعضاء البدن، وإذا سألت الله المعافاة فالمراد من هذا ومن هذا، ومرض القلب أعظم من مرض البدن؛ لأن مرض البدن إذا صبر الإنسان واحتسب الأجر من الله صار رفعة في درجاته وتكفيراً لسيئاته والنهاية فيه الموت، والموت مآل كل حي ولا بد منه .

لكن مرض القلب والعياذ بالله فيه فساد الدنيا والآخرة، إذا مرض القلب بالشك أو الشرك أو النفاق أو كراهة ما أنزل الله، أو بغض أولياء الله أو ما أشبه ذلك، فقد خسر الإنسان دنياه وآخرته. ولهذا ينبغي لك إن سألت العافية أن تستحضر أنك تسأل الله العافية من مرض القلب ومرض البدن، مرض القلب الذي مداره على شك أو شرك أو شهوة.



"وارزقني" يعني الرزق الذي يقوم به البدن من الطعام والشراب واللباس والمسكن وغير ذلك، والرزق الذي يقوم به القلب وهو العلم النافع والعمل الصالح، وهذا يشمل هذا وهذا فالرزق نوعان: رزق يقوم به البدن، ورزق يقوم به القلب، والإنسان إذا قال: "ارزقني" فهو يسأل الله هذا وهذا. والله الموفق^(١).



(١) انظر شرح رياض الصالحين ٦ / ٢١ .



فائدة

يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَّبِينَ﴾ [سورة البقرة: آية ٢٢٢] وهذه تستوجب أن أكثر التوبة إلى الله عَزَّوَجَلَّ، أكثر أن أرجع إلى الله بقلبي وقلبي، ومجرد قول الإنسان: أتوب إلى الله. هذا قد لا ينفع، لكن تستحضر وأنت تقول: «أتوب إلى الله» أن بين يديك معاصي، ترجع إلى الله منها وتتوب؛ حتى تنال بذلك محبة الله.

﴿وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [سورة البقرة: آية ٢٢٢] إذا غسلت ثوبك من النجاسة، تحس بأن الله أحبك؛ لأن الله يحب المتطهرين؛ إذا توضأت؛ تحس بأن الله أحبك؛ لأنك تطهرت؛ إذا اغتسلت تحس أن الله أحبك؛ لأن الله يحب المتطهرين....

ووالله إننا لغافلون عن هذه المعاني، أكثر ما نستعمل الطهارة من النجاسة أو من الأحداث، لأنها شرط لصحة الصلاة؛ خوفاً من أن تفسد صلاتنا، لكن يغيب عنا كثيراً أن نشعر بأن هذا قربة وسبب لمحبة الله لنا، لو كنا نستحضر عندما يغسل الإنسان نقطة بول أصابت ثوبه أن ذلك يجلب محبة الله له لحصلنا خيراً كثيراً، لكننا في غفلة. (١)

(١) انظر شرح العقيدة الواسطية ص ٢٠٢.



﴿ فائدة ﴾

قال الله تعالى: ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ

لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [سورة آل عمران: آية ٣١] هذا أيضًا

يستوجب أن نحرص غاية الحرص على اتباع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،

بحيث نترسم طريقه، لا نخرج منه، ولا نقصر عنه، ولا نزيد، ولا

ننقص.

وشعورنا هذا يحميننا من البدع، ويحمينا من التقصير، ويحمينا

من الزيادة والغلو، ولو أننا نشعر بهذه الأمور، فانظر كيف يكون

سلوكنا وآدابنا وأخلاقنا وعباداتنا. (١)



(١) انظر شرح العقيدة الواسطية ص ٢٠٣.



﴿ فائدة ﴾

قال شيخ الإسلام ومن الإيمان باليوم الآخر: «الإيمان بكل ما أخبر به النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مما يكون بعد الموت»: كل هذا داخل في الإيمان باليوم الآخر. وذلك لأن الإنسان إذا مات؛ دخل في اليوم الآخر، ولهذا يقال: من مات؛ قامت قيامته؛ فكل ما يكون بعد الموت؛ فإنه من اليوم الآخر.

إذا؛ ما أقرب اليوم الآخر لنا؛ ليس بيننا وبينه إلا أن يموت الإنسان، ثم يدخل في اليوم الآخر الذي ليس فيه إلا الجزاء على العمل. ولهذا يجب علينا أن ننتبه لهذه النقطة.

فكر أيها الإنسان؛ تجد أنك على خطر؛ لأن الموت ليس له أجل معلوم عندنا؛ قد يخرج الإنسان من بيته ولا يرجع إليه، وقد يكون الإنسان على كرسي مكتبه ولا يقوم منه، وقد ينام الإنسان على فراشه ولكنه يحمل من فراشه إلى سرير غسله؛ وهذا أمر يستوجب منا أن ننتهز فرصة العمر بالتوبة إلى الله عَزَّجَلَّ، وأن يكون الإنسان دائماً يستشعر بأنه تائب إلى الله وراجع ومنيب حتى يأتيه الأجل وهو على خير ما يرام. (١)

(١) انظر شرح العقيدة الواسطية ص ٤٧٤ .



﴿ فائدة ﴾

هذه حال ينبغي أن يتنبه لها، وهو أننا كل ما نقوله وكل ما نفعله نشعر حال قوله أو فعله أننا نتبع فيه الرسول **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**، مع الإخلاص لله، لتكون أقوالنا وأفعالنا كلها عبادات لله **عَزَّجَلَّ**، ولهذا يقال: إن عبادات الغافلين عادات، وعادات المنتبهين عبادات.

فالإنسان الموفق يمكن أن يحول العادات إلى عبادات، والإنسان الغافل يجعل عباداته عادات. فليحرص المؤمن على أن يجعل أقواله وأفعاله كلها تبعاً لكتاب الله وسنة رسوله **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، ينال بذلك الأجر، ويحصل به كمال الإيمان والإنابة إلى الله **عَزَّجَلَّ**. (١)



(١) انظر شرح العقيدة الواسطية ص ٦٨٣ .



﴿ فائدة ﴾

ينبغي علينا أن نعرف ما معنى العبادة حتى نكون على بصيرة من أمرنا في معرفة كلام الله عزَّجَلَّ.

﴿ العبادة تطلق على معنيين: ﴾

* على التعبد، وعلى المتعبد به.

فعلى المعنى الأول يكون معنى العبادة: أن يتذلل الإنسان لربه بامثال أمره واجتناب نهيه محبة له وتعظيماً. فيكون هذا الوصف عائداً للإنسان العابد.

أما على المعنى الثاني أن العبادة تطلق على معنى المتعبد به فقد حدها شيخ الإسلام رَحْمَةُ اللَّهِ فِي تعريف من أحسن ما يكون من التعاريف فقال: «العبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة».

فالصلاة إذا عبادة، والزكاة عبادة والصوم عبادة، والحج عبادة

لا يريد الله عزَّجَلَّ منا بهذه العبادات أن يتعبنا فقط ﴿ مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَدَائِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَعَآمَنْتُمْ ﴾ [سورة النساء: آية ١٤٧] ما يريد الله عزَّجَلَّ



أن يحررنا في هذه العبادات ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [سورة الحج: آية ٧٨] وإنما أراد بهذه العبادات أراد بها أن نصل إلى سعادة الدنيا والآخرة.

وحيثُ نعرف أن هذه العبادات ليست تكليفاً وإشفاقاً علينا. وإنما هي لمصلحتنا وسعادتنا في الدنيا والآخرة. ولا يمكن أن تستقيم الدنيا إلا بالعبادة ولست أريد بالعبادة مجرد الحقوق الخاصة بالله **عَزَّوَجَلَّ** حتى معاملتك مع الناس يمكن أن تتحول إلى عبادة. كيف ذلك إذا عاملتهم بمقتضى أمر الله من النصح والبيان امثالاً لأمر الله **عَزَّوَجَلَّ** صارت المعاملة عبادة حتى لو تبع سلعة على إنسان وتبين ما فيها من عيوب وتصدق فيما تصنفها من الصفات المطلوبة صرت الآن متعبداً لله لأن النبي **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** يقول: «الدين النصيحة قلنا: لمن يا رسول الله؟ قال: «الله وكتابه ورسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم»^(١).



(١) انظر مجموع الفتاوى ٣٣١ / ٧ .



﴿ فائدة ﴾

قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «واعلم أنك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلا أجرت عليها حتى ما تجعله في فيِّ امرأتك». لماذا مثل الرسول **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** ما يجعله الإنسان وقال: «في فيِّ امرأتك» ما قال حتى ما تجعله في في أبيك، في في أمك، بل قال «في في امرأتك» لأن المرأة إذا لم ينفق عليها زوجها طالبت بالفراق وإذا طالبت بالفراق وفارقته بقي بلا زوج إذا فإنفاقه على زوجته كأنما يجربه إلى نفسه نفعاً. ومع ذلك قال له الرسول **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:** «إنك إذا أنفقت نفقة تبتغي بها وجه الله» حصل لك بها الأجر حتى في هذه النفقة التي يكون معاوضة لأن الإنفاق على الزوجة عوض عن الاستمتاع بها ونيل الشهوة منها. ولهذا إذا نشزت الزوجة، فإن نفقتها تسقط.

الحاصل أن النية لها تأثير عظيم في العبادة ولهذا نقول: إن العبادة لا تكون عبادة إلا بشرطين أساسين، أحدهما: الإخلاص لله، والثاني: المتابعة لرسول الله **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.** (١)

(١) انظر مجموع الفتاوى ٧ / ٣٣٢ .



﴿ فائدة ﴾

قال تعالى: ﴿ وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْمَنَّا طَبِيرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ

كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا ﴿١٣﴾ أَقْرَأَ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾ [سورة

الإسراء: آية ١٣-١٤].

قال بعض السلف: لقد أنصفك من جعلك حسيباً على

نفسك. والكتابة في صحائف الأعمال: إما للحسنات، وإما

للسيئات، والذي يكتب من الحسنات ما عمله الإنسان، وما نواه،

وما هم به؛ فهذه ثلاثة أشياء:

فأما ما عمله؛ فظاهر أنه يكتب.

وأما ما نواه؛ فإنه يكتب له، لكن يكتب له أجر النية فقط كاملاً؛

كما في الحديث الصحيح في قصة «الرجل الذي كان له مال ينفقه

في سبيل الخير، فقال الرجل الفقير: لو أن عندي مالاً؛ لعملت فيه

بعمل فلان؛ قال النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:** «فهو بنيته؛ فأجرهما سواء».

ويدل على أنهما ليسا سواء في الأجر من حيث العمل: «أن فقراء

المهاجرين لما أتوا إلى النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** وقالوا: يا رسول الله! إن

أهل الدثور سبقونا. فقال لهم **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:** «تسبحون وتحمدون



وتكبرون دبر كل صلاة ثلاثاً وثلاثين». فلما سمع الأغنياء بذلك؛ فعلوا مثله، فرجع الفقراء يشكون إلى النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**، فقال لهم: **«ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء»**، ولم يقل: إنكم بنيتكم أدركتم عملهم. ولأن هذا هو العدل؛ فرجل لم يعمل لا يكون كالذي عمل، لكن يكون مثله في أجر النية فقط.

وأما الهم؛ فينقسم إلى قسمين:

■ القسم الأول:

أن يهم بالشيء ويفعل ما يقدر عليه منه، ثم يحال بينه وبين إكماله. فهذا يكتب له الأجر كاملاً؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿١٠٠﴾﴾ [سورة النساء: آية ١٠٠].

وهذه بشرى لطلبة العلم: إذا نوى الإنسان أنه يطلب العلم وهو يريد أن ينفع الناس بعلمه ويذب عن سنة الرسول **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** وينشر دين الله في الأرض، ثم لم يقدر له ذلك؛ بأن مات مثلاً، وهو في طلبه؛ فإنه يكتب له أجر ما نواه وسعى إليه.



بل إن الإنسان إذا كان من عاداته العمل، وحيل بينه وبينه لسبب؛ فإنه يكتب له أجره، قال النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**: «إذا مرض العبد أو سافر؛ كتب له مثل ما كان يعمل مقيماً صحيحاً» .

■ القسم الثاني:

أن يهتم بالشيء ويتركه مع القدرة عليه؛ فيكتب له به حسنة كاملة؛ لنيته.

وأما السيئات؛ فإنه يكتب على الإنسان ما عمله، ويكتب عليه ما أراد وسعى فيه ولكن عجز عنه، ويكتب عليه ما نواه وتمناه. **فالأول: واضح.**

والثاني: يكتب عليه كاملاً؛ لقول النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**: «إذا التقى المسلمان بسيفيهما؛ فالقاتل والمقتول في النار». قالوا: يا رسول الله! هذا القاتل؛ فما بال المقتول؟! قال: «لأنه كان حريصاً على قتل صاحبه»، ومثله من هم أن يشرب الخمر، ولكن حصل له مانع؛ فهذا يكتب عليه الوزر كاملاً؛ لأنه سعى فيه.

والثالث: الذي نواه وتمناه يكتب عليه، لكن بالنية، ومنه الحديث الذي أخبر النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** عن رجل أعطاه الله مالاً؛



فكان يتخبط فيه، فقال رجل فقير: لو أن لي مالا؛ لعملت فيه بعمل فلان. قال النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**: «**فهو بنيته؛ فوزرهما سواء**». ولو هم بالسيئة، ولكن تركها؛ فهذا على ثلاثة أقسام:

١. **إن تركها عجزاً؛** فهو كالعامل إذا سعى فيها.

٢. **وإن تركها لله؛** كان مأجوراً.

٣. **وإن تركها لأن نفسه عزفت عنها،** أو لم تطرأ على باله؛ فهذا لا إثم عليه ولا أجر.

والله **عَزَّجَلَّ** يجزي بالحسنات أكثر من العمل، ولا يجزي بالسيئات إلا مثل العمل؛ قال تعالى: ﴿**مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ** **أَمْثَالِهَا** وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ (١٦٠) [سورة الأنعام: آية ١٦٠]، وهذا من كرمه **عَزَّجَلَّ** ومن كون رحمته سبقت غضبه. (١)





﴿ فائدة ﴾

وفي قول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَّا نَوَى) هذه هي نية المعمول له، والناس يتفاوتون فيها تفاوتاً عظيماً، حيث تجد رجلين يصليان بينهما أبعد مما بين المشرق والمغرب أو مما بين السماء والأرض في الثواب، لأن أحدهما مخلص والثاني غير مخلص.

وتجد شخصين يطلبان العلم في التوحيد، أو الفقه، أو التفسير، أو الحديث، أحدهما بعيد من الجنة والثاني قريب منها، وهما يقرآن في كتاب واحد وعلى مدرّسٍ واحد. فهذا رجل طلب دراسة الفقه من أجل أن يكون قاضياً والقاضي له راتبٌ رفيعٌ ومرتبةٌ رفيعة، والثاني درس الفقه من أجل أن يكون عالماً معلماً لأمة محمدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فبينهما فرق عظيم. قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ طَلَبَ عِلْمًا وَهُوَ مِمَّا يُبْتَغَى بِهِ وَجْهُ اللَّهِ لَا يُرِيدُ إِلَّا أَنْ يَنَالَ عَرَضًا مِنَ الدُّنْيَا لَمْ يَرِحْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ»^(١).



(١) انظر شرح الأربعين النووية ص ١٥.



﴿ فائدة ﴾

العمل يتفاضل أيضاً بالإخلاص، فلدينا ثلاثة رجال: رجل نوى بالعمل امتثال أمر الله **عَزَّوَجَلَّ** والتقرب إليه، وآخر نوى بالعمل أنه يؤدي واجباً، وقد يكون كالعادة، والثالث نوى شيئاً من الرياء أو شيئاً من الدنيا. فالأكمل فيهم: الأول، ولهذا ينبغي لنا ونحن نقوم بالعبادة أن نستحضر أمر الله بها، ثم نستحضر متابعة الرسول **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** فيها، حتى يتحقق لنا الإخلاص والمتابعة. ^(١)



(١) انظر شرح الأربعين النووية ص ٤٠٦.



﴿ فائدة ﴾

لابد مع الدعاء من رجاء، وأما القلب الغافل اللاهي الذي يذكر الدعاء على وجه العادة فليس حريّاً بالإجابة، بخلاف الذكر كالتسبيح والتهليل وما أشبه ذلك، فهذا يُعطى أجراً به، ولكنه أقل مما لو استحضر وذكر بقلبه ولسانه. والفرق ظاهر، لأن الداعي محتاج فلا بد أن يستحضر في قلبه ما احتاج إليه، وأنه مفتقر إلى الله عزَّوجلَّ. (١)



(١) انظر شرح الأربعين النووية ص ٤٣٢ .



﴿ فائدة ﴾

التوكل نصف الدين، ولهذا نقول في صلاتنا: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [سورة الفاتحة: آية ٥]، فنطلب من الله العون اعتماداً عليه سبحانه بأنه سيعيننا على عبادته. وقال تعالى: ﴿فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ [سورة هود: آية ١٢٣]، وقال تعالى: ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [سورة هود: آية ٨٨]، ولا يمكن تحقيق العبادة إلا بالتوكل؛ لأن الإنسان لو وكل إلى نفسه وكل إلى ضعف وعجز، ولم يتمكن من القيام بالعبادة، فهو حين يعبد الله يشعر أنه متوكل على الله، فينال بذلك أجر العبادة وأجر التوكل، ولكن الغالب عندنا ضعف التوكل، وأننا لا نشعر حين نقوم بالعبادة أو العادة بالتوكل على الله والاعتماد عليه في أن ننال هذا الفعل، بل نعتمد في الغالب على الأسباب الظاهرة وننسى ما وراء ذلك؛ فيفوتنا ثواب عظيم، وهو ثواب التوكل، كما أننا لا نوفق إلى حصول المقصود كما هو الغالب، سواء حصل لنا عوارض توجب انقطاعها أو عوارض توجب نقصها. (١)

(١) انظر مجموع الفتاوى ١٠ / ٦٦٧ .



﴿ فائدة ﴾

قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ۝۱۰۹ ﴾

[سورة الإسراء: آية ١٠٩]. فالبكاء عند قراءة القرآن، وعند السجود، وعند الدعاء من صفات الصالحين، والإنسان يحمد عليه، والأصوات التي تسمع أحياناً من بعض الناس هي بغير اختيارهم فيما يظهر، بل هو شيء يجده في نفسه ويقع بغير اختياره، وقد قال العلماء رَحِمَهُمُ اللَّهُ: إن الإنسان إذا بكى من خشية الله فإن صلاته لا تبطل ولو بان من ذلك حرفان فأكثر، لأن هذا أمر لا يمكن للإنسان أن يتحكم فيه، ولا يمكن أن نقول للناس لا تخشعوا في الصلاة ولا تبكوا، بل نقول إن البكاء الذي يأتي بتأثر القلب مما سمع أو مما استحضره إذا سجد؛ لأن الإنسان إذا سجد يستحضر أنه أقرب ما يكون إلى ربه عزَّ وجلَّ، كما قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد». والقلب إذا استحضر هذا وهو ساجد لاشك أنه يخشع ويحصل البكاء. (١)



(١) انظر مجموع الفتاوى ١٣ / ٣٣٢ .



﴿ فائدة ﴾

من خصائص يوم الجمعة: أن فيه ساعة لا يوافقها عبد مسلم وهو قائم يصلي يسأل الله شيئاً إلا أعطاه إياه.
واختلف العلماء في تعيين هذه الساعة على أكثر من أربعين قولاً، لكن أقرب الأقوال فيها قولان:

الأول: أنها ما بين أن يخرج الإمام إلى الناس للصلاة حتى انقضاء الصلاة. فإن هذا أرجى الأوقات موافقة لساعة الإجابة، لما رواه مسلم من حديث أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهي ساعة يجتمع المسلمون فيها على فريضة من فرائض الله ويدعون الله فيها، فهي أقرب ما تكون موافقة لساعة الإجابة، ولهذا ينبغي أن يحرص الإنسان في هذه الساعة على الدعاء، ولا سيما في الصلاة، ومحل الدعاء في الصلاة إما في السجود، وإما في الجلسة بين السجدين، وإما بعد التشهد فينبغي للإنسان أن يحرص على الدعاء في صلاة الجمعة، وأن يستشعر أن هذا من أرجى أوقات يوم الجمعة إجابة.



القول الثاني: أنها بعد العصر ، والإنسان بعد العصر قد يكون قائماً يصلي ، كما لو دخل المسجد قبل غروب الشمس فإنه يصلي ركعتين لعموم قول النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** : "إذا دخل أحدكم المسجد فلا يجلس حتى يصلي ركعتين" وقد سبق أن قلنا : كل صلاة لها سبب فليس عنها نهى. ^(١)



(١) انظر مجموع الفتاوى ٣٣ / ١٦ .



﴿ فائدة ﴾

في ختام شهر رمضان شرع الله لعباده أن يكبروه، فقال تعالى: ﴿وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَيْتُمْ وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [سورة البقرة: آية ١٨٥] تكبروا الله، أي: تعظموه بقلوبكم وألسنتكم، ويكون ذلك بلفظ التكبير. فتقول: الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله، والله أكبر، والله أكبر، والله الحمد. أو تكبر ثلاثاً، فتقول: الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله. والله أكبر، الله أكبر، والله الحمد. كل هذا جائز سواء أتيت بالتكبير شفيعاً، أو أتيت وترّاً.

وينبغي للإنسان عند التكبير أن يستشعر أنه يكبر الله بقلبه ولسانه، وأنه بنعمة الله عليه وهدايته إياه صار في المحل الأعلى الأرفع ولهذا قال: ﴿عَلَىٰ مَا هَدَيْتُمْ وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [سورة البقرة: آية ١٨٥] فجعل الله التكبير فوق الهداية، أي أن ذلك التكبير كان نتيجة لهداية الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** وتوفيقه لصيام رمضان وقيامه، وهذا التكبير سنة عند جمهور أهل العلم. (١)

(١) انظر مجموع الفتاوى ٢٦٩/١٦.



﴿ فائدة ﴾

إذا كنت صادقاً في محبة الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم - وأرجو أن تكون صادقاً - فعليك بإتباعه واتباع سنته وهديه، كن وأنت تتوضأ كأنما تشعر بأن الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يتوضأ أمامك، وكذلك في الصلاة وغيرها حتى تحقق المتابعة ولست أقول (أمامك) أنه عندك في البيت هذا لا أقوله، لكن المعنى من شدة اتباعك له كأنه أمامك يتوضأ، ولهذا أوجه الآن إلى نقطة مهمة، نحن نتوضأ للصلاة - والحمد لله - عندما نتوضأ أكثر الأحيان وأكثر الناس لا يشعرون، إلا أنهم يؤدون شرطاً من شروط الصلاة لكن ينبغي أن يلاحظ.

أولاً: أن نشعر بأننا نمثل أمر الله عَزَّجَلَّ حيث قال: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾ [سورة المائدة: آية ٦].

ثانياً: أن نشعر باتباع النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم لأننا توضأنا نحو وضوئه.



ثالثاً: أن نحسب الأجر؛ لأن هذا الوضوء يكفر الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** به كل خطيئة حصلت من هذه الأعضاء، الوجه إذا غسله آخر قطره يكفر بها عن الإنسان، وكذلك بقية الأعضاء، هذه ثلاثة أمور غالباً لا نشعر بها إنما نعمل كأننا أدينا شرطاً من شروط الصلاة، فأسأل الله أن يعينني وإخواني المسلمين على ذلك حتى تكون العبادة طاعة لله تعالى واتباعاً لرسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** واحتساباً لثواب الله. ^(١)



(١) انظر مجموع الفتاوى ٢٤ / ٢٤ .



﴿ فائدة ﴾

المؤمن لا يصاب بأي شيء إلا كفر الله به عنه، لا يلحقه هم ولا غم ولا أذى حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها عنه من الخطايا، وهذه نعمة، كل منا يرجو أن يخفف الله من سيئاته، ونسأل الله أن يمحو عنا وعنكم السيئات. وهذه المصائب التي ليس لنا بها حيلة، يُكفر الله بها السيئات، وهي إذا احتسب الإنسان بها الأجر عند الله صارت رفعة في الدرجات، فالإنسان إذا أصيب بمصيبة يكتسب بها شيئين:

الأول: أنها مكفرة للذنوب.

الثاني: أنه إذا احتسب الأجر على الله بها، صارت سبباً لرفعة الدرجات، وزيادة الحسنات. (١)



(١) انظر مجموع الفتاوى ٥٥٧/٢٥.



فائدة

العلم يرفع الله به من يشاء من خلقه: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [سورة المجادلة: آية ١١]. ولهذا نجد أن أهل العلم محل الثناء، كلما ذكروا أثنى الناس عليهم، وهذا رفع لهم في الدنيا، أما في الآخرة فإنهم يرتفعون درجات بحسب ما قاموا به من الدعوة إلى الله والعمل بما عملوا .

إن العابد حقاً هو الذي يعبد ربه على بصيرة، ويتبين له الحق وهذه سبيل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [سورة يوسف: آية ١٠٨] فالإنسان الذي يتطهر وهو يعلم أنه على طريق شرعي هل هو كالذي يتطهر من أجل أنه رأى أباه أو أمه يتطهر؟ أيهما أبلغ في تحقيق العبادة رجل يتطهر؛ لأنه علم أن الله أمر بالطهارة، وأنها هي طهارة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يتطهر امتثالاً لأمر الله واتباعاً لسنة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أم رجل آخر يتطهر؛ لأن هذا المعتاد عنده؟



فالجواب: بلا شك أن الأول هو الذي يعبد الله على بصيرة فهل يستوي هذا وذاك؟ وإن كان فعل كل منهما واحداً، لكن هذا عن علم وبصيرة يرجو الله **عَزَّجَلَّ** ويحذر الآخرة، ويشعر بأنه متبع للرسول **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** وأقف عند هذه النقطة وأسأل:

هل نستشعر عند الوضوء بأننا نمثل لأمر الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي قَوْلِهِ: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾** [سورة المائدة: آية ٦]؟

هل الإنسان عند وضوئه يستحضر هذه الآية وأنه يتوضأ امتثالاً لأمر الله؟ هل يستشعر أن هذا وضوء رسول الله **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**؟ وأنه يتوضأ اتباعاً لرسول الله **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**.

الجواب: نعم الحقيقة أن منا من يستحضر ذلك، ولهذا يجب عند فعل العبادات أن نكون ممثلين لأمر الله بها حتى يتحقق لنا بذلك الإخلاص، وأن نكون متبعين لرسول الله **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، نحن نعلم أن من شروط الوضوء النية، لكن النية قد يراد بها نية العمل، وهذا الذي يبحث في الفقه، وقد يراد بها نية المعمول له، وحينئذ



علينا أن نتنبه لهذا الأمر العظيم، وهو أن نستحضر ونحن نقوم بالعبادة أننا نتمثل أمر الله بها لتحقيق الإخلاص، وأن نستحضر ونحن نقوم بالعبادة أن الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فعلها ونحن له فيها متبعون لتحقيق المتابعة؛ لأن من شروط صحة العمل الإخلاص والمتابعة اللذين بهما تتحقق شهادة أنه لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نعود إلى ما ذكرنا أولاً من فضائل العلم، إذ بالعلم يعبد الإنسان ربه على بصيرة فيتعلق قلبه بالعبادة ويتنور قلبه بها، ويكون فاعلاً لها على أنها عبادة لا على أنها عادة، ولهذا إذا صَلَّى الإنسان على هذا النحو فإنه مضمون له ما أخبر الله به من أن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر. (١)



(١) انظر مجموع الفتاوى ٢٠ / ٢٦ .



﴿ فائدة ﴾

أهم شيء يعين على طلب العلم النية الخالصة أن ينوي الإنسان بطلب العلم حفظ شريعة الله **عَزَّوَجَلَّ** والانتفاع بها بالعمل ونشرها بين الناس ودعوة الناس إليها؛ فإذا تصور الإنسان هذه العبادات العظيمة وما يترتب عليها من الثواب فهذا مما يعين على طلب العلم، كذلك مما يعين على طلب العلم أن ييسر الله للطالب زملاء يساعدونه ويعينونه، وَييسر الله للجميع معلمًا يوضح ويبين، فإن التبیین والتوضيح مما ينشط طالب العلم، ومما يعين على طلب العلم الفراغ ألا يكون الإنسان عنده مشاكل اجتماعية، أو مشاكل في أهله، وأن يكون عنده ما يقوته هذا من الأسباب وربما يكون أيضًا هناك أسباب أخرى لكن هذه من الأسباب. ^(١)



(١) انظر مجموع الفتاوى ١٢٥ / ٢٦ .



﴿ فائدة ﴾

يجب على طالب العلم إخلاص النية لله عَزَّوَجَلَّ وأن يعتقد أنه ما قرأ حرفاً ولا كلمة، ولا أتم صفحة في العلم الشرعي إلا وهو يقربه إلى الله عَزَّوَجَلَّ. ولكن كيف يمكن أن ينوي التقرب إلى الله بطلب العلم؟

الجواب: يمكن ذلك؛ لأن الله أمر به، والله إذا أمر بشيء ففعله الإنسان امتثالاً لأوامر الله، فتلك عبادة الله؛ لأن عبادة الله هي امتثال أمره، واجتناب نهيه، وطلب مرضاته، واتقاء عقوبته.

ومن إخلاص النية في طلب العلم أن ينوي رفع الجهل عن نفسه وعن غيره من الأمة، وعلامة ذلك أن الرجل تجده بعد طلب العلم متأثراً بما طلب، متغيراً في سلوكه ومنهاجه، وتجده حريصاً على نفع غيره، وهذا يدل على أن نيته في طلب العلم رفع الجهل عنه وعن غيره فيكون قدوة، صالحاً مصلحاً، وهذا ما كان عليه السلف الصالح، أما ما عليه الخلف اليوم فيختلف كثيراً عن ذلك، فتجد الأعداد الكبيرة من الطلاب في الجامعات والمعاهد، منهم من نيته لا تنفعه في الدنيا والآخرة، بل تضره، فهو ينوي أن يصل



إلى الشهادة لكي يتوصل بها إلى الدنيا فقط، وقد جاء التحذير من الرسول **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** فقال: «من تعلم علماً مما يتغنى به وجه الله **عَزَّوَجَلَّ** لا يتعلمه إلا ليصيب به عرضاً من الدنيا، لم يجد عرف الجنة يوم القيامة». أي ريحها وهذا خطر عظيم، علم شرعي تجعله وسيلة إلى عرض الدنيا، هذا قلب للحقائق.

والطالب إذا أخلص النية جاءته الدنيا تبعاً ولن يفوته شيء وسيخرج هو ومن يريد الشهادة للدنيا على حد سواء، بل المخلص أكثر تحصيلاً للعلم وأبلغ رسوخاً فيه. وإن مما يؤسف له أن بعض الطلاب يستأجرون من يعد لهم بحوثاً أو رسائل يحصلون بها على شهادات علمية، أو من يحقق بعض الكتب فيقول لشخص حضر لي تراجم هؤلاء، وراجع البحث الفلاني، ثم يقدمه رسالة ينال بها درجة يستوجب بها أن يكون في عداد المعلمين أو ما أشبه ذلك، فهذا في الحقيقة مخالف لمقصود الجامعة ومخالف للواقع، وأرى أنه نوع من الخيانة؛ لأنه لا بد أن يكون المقصود من الرسالة هو الدراسة والعلم قبل كل شيء، فإذا كان المقصود من ذلك الشهادة فقط فإنه لو سئل بعد أيام عن الموضوع الذي حصل على الشهادة فيه لم يجب.



لهذا أأأذر إأخواني الذين يحققون الكأب، أو الذين يحضرون رسائل على هذا النحو من العاقبة الوأخيمة، وأقول: إنه لا بأس من الاستعانة بالغير ولكن ليس على وجه أن تكون الرسالة كلها من صنع غيره، وفق الله الجميع للعلم النافع والعمل الصالح، إنه سميع مجيب. (١)



(١) انظر مجموع الفتاوى ٢٦ / ٢٥٨ .



﴿ فائدة ﴾

قال الله تعالى: ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ﴾ [سورة البقرة: آية ٣٠] أي نُنَزِّهه؛ والذي يُنَزِّهه الله عنه شيئان؛ أولاً: النقص؛ والثاني: النقص في كماله؛ وزد ثالثاً إن شئت: مماثلة المخلوقين؛ كل هذا يُنَزِّهه الله عنه؛ النقص: مطلقاً؛ يعني أن كل صفة نقص لا يمكن أن يوصف الله بها أبداً. لا وصفاً دائماً، ولا خبراً؛ والنقص في كماله: فلا يمكن أن يكون في كماله نقص؛ قدرته: لا يمكن أن يعترها عجز؛ قوته: لا يمكن أن يعترها ضعف؛ علمه: لا يمكن أن يعتره نسيان ... وهلم جراً؛ ولهذا قال عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾ [سورة ق: آية ٣٨] أي تعب، وإعياء؛ فهو عزَّ وجلَّ كامل الصفات لا يمكن أن يعترى كماله نقص؛ ومماثلة المخلوقين: هذه إن شئنا أفردها بالذكر؛ لأن الله تعالى أفردها بالذكر، فقال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [سورة الشورى: آية ١١]. وقال تعالى: ﴿وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى﴾ [سورة الروم: آية ٢٧]، وقال تعالى: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ﴾ [سورة النحل: آية ٧٤]؛ وإن شئنا جعلناها داخلة في القسم الأول. النقص. لأن تمثيل الخالق بالمخلوق يعني النقص؛



بل المفاضلة بين الكامل والناقص تجعل الكامل ناقصاً، كما قال
القائل:

ألم تر أن السيف ينقص قدره

إذا قيل إن السيف أمضى من العصا

لو قلت: فلان عنده سيف أمضى من العصا تبين أن السيف هذا
رديء، وليس بشيء؛ فربما نفرد هذا القسم الثالث، وربما ندخله
في القسم الأول؛ على كل حال التسبيح ينبغي لنا. عندما نقول:
«سبحان الله»، أو: «أسبح الله»، أو ما أشبه ذلك. أن نستحضر هذه
المعاني.. (١)





﴿ فائدة ﴾

أنه ينبغي للإنسان إذا تعبد لله أن يستشعر أمر الله؛ لأنه أبلغ في الامتثال، والطاعة؛ وكذلك ينبغي أن يستحضر أنه متأسٍ برسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كأنما يشاهده رأي عين؛ لقول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «صلوا كما رأيتموني أصلي» - فتم له المتابعة. (١)



(١) انظر تفسير سورة البقرة ٣/ ١٨١ .



﴿ فائدة ﴾

من فوائد قوله تعالى: ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ﴾ [سورة البقرة: آية ٢٧٠]، أن الإنفاق قليله وكثيره يثاب عليه المرء؛ وذلك لقوله تعالى: ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ﴾، وكلمة ﴿نَفَقَةٍ﴾ نكرة في سياق الشرط؛ فهي تعم؛ وعلى ذلك تشمل القليل، والكثير؛ لكن الثواب عليها مشروط بأمرين: الإخلاص لله؛ وأن تكون على وفق الشرع. ومن فوائد الآية: أنه ينبغي للإنسان إذا أنفق نفقة أن يحتسب الأجر على الله؛ لقوله تعالى: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ﴾؛ لأنك إذا أنفقت وأنت تشعر أن الله يعلم هذا الإنفاق فسوف تحتسب الأجر على الله. (١)



(١) انظر تفسير سورة البقرة ٣/ ٣٥٥.



﴿ فائدة ﴾

قال تعالى: ﴿ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ [سورة الحديد: آية ١٠]

يعني أي شيء يمنعهم، والإنفاق في سبيل الله يشمل كل شيء أمر الله بالإنفاق فيه، ففي سبيل الله هنا عامة، وعليه يدخل في ذلك الإنفاق على النفس، والإنفاق على الزوجة، والإنفاق على الأهل، والإنفاق على الفقراء واليتامى، والإنفاق في الجهاد في سبيل الله، فكل ما أمر الله تعالى بالإنفاق فيه فهو داخل في هذه الآية حتى إنفاقك على نفسك صدقة، وإنفاقك على زوجك صدقة، ولكن لاحظ النية، لقول النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ** لسعد بن أبي وقاص **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**: «واعلم أنك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلا أجرت عليها»، فلزم هذا القيد، لا بد أن تبتغي بها وجه الله إلا أجرت، أي: أثبت عليها. (١)



(١) انظر تفسير سورة الحديد ص ٣٨٠.



﴿ فائدة ﴾

قال تعالى: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ [سورة الشرح: آية ٤] رفع ذكر الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لا أحد يشك فيه:

أولاً: لأنه يرفع ذكره عند كل صلاة في أعلى مكان وذلك في الأذان: أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن محمد رسول الله.

ثانياً: يرفع ذكره في كل صلاة فرضاً في التشهد، فإن التشهد مفروض، وفيه أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

ثالثاً: يرفع ذكره عند كل عبادة، كل عبادة مرفوع فيها ذكر الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وذلك لأن كل عبادة لابد فيها من شرطين أساسيين هما: الإخلاص لله تعالى، والمتابعة للرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، ومن المعلوم أن المتابع للرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سوف يستحضر عند العبادة أنه متبع فيها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فهذا من رفع ذكره. (١)



(١) انظر تفسير سورة الشرح ص ٢٤٨ .



﴿ فائدة ﴾

المراد بتسبيح الله **عَزَّجَلَّ** تنزيهه المتضمن لبعده عن كل نقص، والنقص إما أن يكون في أصل الصفة، وإما أن يكون بمقارنتها بغيرها.

ففي أصل الصفة نقول: هو حي، عليم، قادر، حكيم، عزيز، فكل صفاته ليس فيها نقص، فهو حي حياة لا نقص فيها، سميع سمعاً لا نقص فيه، عليم علماً لا نقص فيه، فلا نقول مثلاً إن علمه **عَزَّجَلَّ** مسبق بجهل، أو أنه يلحقه نسيان. والنقص باعتبار مقارنتها بغيرها: بأن ننزهه عن مماثلة المخلوقين؛ لأن تمثيله بالمخلوقين يعتبر نقصاً، فلا نقول مثلاً إن وجه الله **عَزَّجَلَّ** كوجه المخلوق. فصار - بذلك - النقص دائراً بين شيئين:

الأول: نقص الصفة بذاتها فصفاته غير ناقصة.

والثاني: نقصها باعتبار مقارنتها بصفة المخلوق، فإنه لا مقارنة بين صفات الخالق وصفات المخلوق، فهو منزّه عن النقص في صفاته، وعن النقص بمشابهته أو بمماثلته بالمخلوقين.



ونحن نقول في كل صلاة: (سبحان ربي الأعلى)، فهل نحن حينما نقول: (سبحان ربي الأعلى) نستحضر هذا المعنى أم نقول: (سبحان ربي الأعلى) باعتبار أنه ذكر وثناء على الله؟

والجواب: أن الغالب على الناس عموماً وخصوصاً أنهم إذا قالوا: (سبحان ربي الأعلى) لا يشعرون إلا بالثناء على الله والتنزيه المطلق، ولا يستحضرون معنى: اللهم إني أنزهك يا ربي عن مماثلة المخلوقين، وعن كل نقص في صفاتك، فلا يشعر القائل بهذا المعنى إلا قليلاً.^(١)



(١) انظر شرح العقيدة السفارينية ص ٤٥ .



﴿ فائدة ﴾

اعلم أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى إِذَا رَضِيَ عَنِ الْعَبْدِ أَرْضَى النَّاسَ عَنْهُ،
وَإِذَا سَخَطَ عَلَى الْعَبْدِ أَسَخَطَ النَّاسَ عَلَيْهِ، فَإِذَا كُنْتَ تَرِيدُ أَنْ
يَرْضَى النَّاسُ عَنْكَ فَاتَّبِعْ رِضَا اللَّهِ، وَلَكِنْ لَا تَتَّبِعْ رِضَا اللَّهِ مِنْ أَجْلِ
أَنْ يَرْضَى النَّاسُ عَنْكَ، فَتَطْلُبُ الْأَعْلَى لِلْأَدْنَى، وَلَكِنْ اجْعَلْ رِضَا
اللَّهِ هُوَ الْأَصْلَ، وَثِقْ بِأَنَّ اللَّهَ إِذَا رَضِيَ عَنْكَ رَضِيَ النَّاسُ،
وَلَكِنْ إِيَّاكَ أَنْ تَنْوِي بَطْلَبِ رِضَا اللَّهِ رِضَا النَّاسِ فَتَكُونُ مَتَوَسِّلاً
بِالْأَعْلَى إِلَى الْأَدْنَى؛ لِأَنَّهُ رُبَّمَا إِذَا نَوَيْتَ هَذِهِ النِّيَّةَ لَا يَرْضَى اللَّهُ
عَنْكَ، وَحِينَئِذٍ يَفُوتُكَ مَقْصُودُكَ مَعَ ضَعْفِ مَقْصُودِكَ. ^(١)



(١) انظر شرح العقيدة السفارينية ص ٨٦ .



﴿ فائدة ﴾

يستطيع الإنسان اكتساب مكارم الأخلاق، وذلك عن طريق الممارسة، والمجاهدة، والتمرين فيكون الإنسان حسن الخلق لأمر منها:

أولاً: أن ينظر في كتاب الله وفي سنة رسوله **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: ينظر النصوص الدالة على مدح ذلك الخلق العظيم الذي يريد أن يتخلق به. فالمؤمن إذا رأى النصوص تمدح شيئاً من الأخلاق أو الأفعال، فإنه سوف يقوم به. والنبى **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** أشار إلى ذلك في قوله: «إنما مثل الجليس الصالح والجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير فحامل المسك: إما أن يحذيك وإما أن تبتاع منه وأما أن تجد منه ريحاً طيبة ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك وإما أن تجد منه ريحاً خبيثة».

ثانياً: أن يصاحب من عرفوا بحسن الأخلاق، والبعد عن مساوئ الأخلاق وسفاسف الأعمال حتى يجعل من هذه الصحبة مدرسة يستعين بها على حسن الخلق فإن النبى **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** قال: «الرجل على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل».



ثالثاً: أن يتأمل الإنسان ماذا يترتب على سوء خلقه: فسيء الخلق ممقوت سيء الخلق مهجور سيء الخلق مذكور بالذكر القبيح فإذا علم الإنسان أن سوء الخلق يفضي به إلى هذا فإنه يتعد عنه.

رابعاً: أن يستحضر الإنسان دائماً صورة خُلق رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وكيف أنه كان يتواضع للخلق، ويحلم عليهم، ويعفو عنهم ويصبر على أذاهم، فإذا استحضر الإنسان أخلاق النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأنه خير البشر وأفضل من عبد الله تعالى، هانت على الإنسان نفسه وانكسرت صولة الكبر فيها فكان ذلك داعياً إلى حسن الخلق. (١)



(١) انظر مكارم الأخلاق ص ٣٥.



﴿ فائدة ﴾

الموفق يمكنه أن يجعل ابتغاء الرزق من ذكر الله تعالى،
فيجعل بيعه وشراءه وحرثه وصنعتة من ذكر الله، وذلك بالنية، قال
النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد
في سبيل الله) وأحسبه قال: (وكالقائم لا يفتر، وكالصائم لا يفطر)
لكن أكثر الناس يغفلون عن هذا الشيء، ولو أن الإنسان انتبه،
ولم يكن من الغافلين لحصل شيئاً كثيراً، فطلب الرزق إذا نويت
أنه من الساعي على الأراامل والمساكين حصلت منزلة المجاهد
عند الله عَزَّوَجَلَّ، وعائلتك التي لا تستطيع الاكتساب تدخل في
المساكين؛ لأنهم لا يقدرّون على الاكتساب، فأنت ساعٍ على
أرملة ومساكين. (١)



(١) انظر التعليق على صحيح البخاري ٣ / ٧١٧ .



﴿ فائدة ﴾

نصيحتي لطالب العلم من حيث حسن النية أن ينوي بطلب العلم أموراً:

أولاً: امتثال أمر الله؛ لأن الله أمر بالعلم، وأثنى على العلماء

فقال: ﴿ فَأَعْلَمَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ﴾ [سورة محمد: آية ١٩]. وقال: ﴿ يَرْفَعِ

اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ﴾ [سورة المجادلة: آية ١١].

ثانياً: أن ينوي بذلك حفظ الشريعة شريعة الإسلام؛ لأن الشريعة لا تحفظ إلا بأصحابها وأهلها.

ثالثاً: أن ينوي بذلك رفع الجهل عن نفسه؛ لأن الإنسان الأصل فيه الجهل، فهو لا يعلم شيئاً حتى يتعلم.

رابعاً: أن ينوي رفع الجهل عن غيره، فينشر علمه بين الناس.

خامساً: أن ينوي بذلك الدفاع عن الشريعة؛ لأن الدفاع عن الشريعة لا يكون إلا بالعلم. فلو جاءك رجل يجادلك بشيء من الأمور، وأنت لا علم عندك، فلن تدري ماذا تقول!



سادساً: أن يعمل بما علم؛ لأن من عمل بما علم زاده الله

علماً، قال الله تعالى: ﴿وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى﴾ [سورة مريم:

آية ٧٦]. هذه الأشياء الستة ينبغي أن تكون على بالك. (١)



(١) انظر فتاوى على الطريق ص ٩٨ .



﴿ فائدة ﴾

إحسان الإنسان إلى أولاده من باب صلة الرحم، وإحسان
الأولاد إلى آبائهم وأمهاتهم من باب البر، وكثير من الناس يغفل
عن مسألة صلة الرحم في الأولاد، ولهذا ينبغي أن تستحضر هذا،
فإذا أتيت لهم بملابس أو مآكل أو مشارب فانو بها مع القيام
بالواجب أنك واصل للرحم؛ حتى تكون من الواصلين.^(١)



(١) انظر التعليق على صحيح البخاري ٥٢١/٤ .



﴿ فائدة ﴾

قوله بين السجدين: «رَبِّ اغْفِرْ لِي»: أي: أنك تسأل الله
سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَنْ يَغْفِرَ لَكَ الذُّنُوبَ كُلَّهَا الصَّغَائِرَ وَالْكَبَائِرَ.

والمغفرة هي: ستر الذنب والعتو عنه، مأخوذة من المغفر الذي
يكون على رأس الإنسان عند الحَرْبِ يَتَّقِي به السهام.

وأما «ارحمني»: فهو طلبُ رحمة الله عَزَّوَجَلَّ التي بها حصول
المطلوب، وبالمغفرة زوال المرهوب، هذا إذا جُمع بينهما.
أما إذا فُرِّقَت المغفرة عن الرحمة؛ فَإِنَّ كُلَّ واحدةٍ منهما تَشْمَلُ
الأخرى.

وأما قوله: «ارزقني» فهو طلب الرزق، وهو ما يقوم به البدن،
وما يقوم به الدِّين.

يعني؛ أَنَّ رِزْقَ الله عَزَّوَجَلَّ ما يقوم به البدن من طعام وشراب
ولباس وسَكْنٍ، وما يقوم به الدِّين من عِلْمٍ وإيمانٍ وَعَمَلٍ صالحٍ.
والإنسان ينبغي له أن يعود نفسه على استحضار هذه المعاني
العظيمة حتى يخرج منتفعًا.



فإذا قال: «ارزقني» يعني: ارزقني ما به قوام البدن، وما به قوام الدين.

قوله: «وعافني» أي: أعطني العافية من كل مرضٍ ديني أو بدني، ثم إن كان متّصفاً بهذا المرض؛ فهو دعاء برّفعه، وإن كان غير متّصف فهو دعاء بدّفعه، بحيث لا يتعرّض له في المستقبل.

فينبغي للإنسان إذا سأل العافية في هذا المكان أو غيره أن يستحضر أن يسأل الله العافية: عافية البدن، وعافية الدين.

قوله: «واجبرني» الجبرُّ يكون من النقص، وكلُّ إنسان ناقص مفرطٌ مُسرفٌ على نفسه بتجاوز الحدِّ أو القصور عنه، ويحتاج إلى جبرٍ حتى يعود سليماً بعد كسره؛ لأنَّ الإنسان يحتاج إلى جبرٍ يجبرُ له النقص الذي يكون فيه.

فهذه المعاني التي تُذكر في الأدعية ينبغي للإنسان أن يستحضرها. فإن قال قائل: أليس يغني عن ذلك كله أن يقول: «اللَّهُمَّ ارحمني»؟ لأنَّ الرحمة عند الإطلاق: بها حصول

المحسوب وزوال المكروه؟



فالجواب: بلى، لكن مقام الدُّعاء ينبغي فيه البسط، لكن على حسب ما جاءت به السُّنَّة، وليس البسط بالأدعية المسجوعة التي ليس لها معنى، أو يكون لها معنى غير صحيح.

✽ وإنما كان البسط مشروعاً في الدعاء لأسباب:

١. لأنَّ الدُّعاء عبادة، وكلما ازدادت من العبادة ازدادت خيراً.
٢. أنَّ الدُّعاء مناجاة لله **عَزَّوَجَلَّ**، وأحبُّ شيء للمؤمن هو الله **عَزَّوَجَلَّ**، ولا شكَّ أنَّ كثرة المناجاة مع الحبيب مما تزيد **الْحُبَّ**.

٣. أن يستحضر الإنسانُ ذنوبه على وجه التفصيل، لأنَّ للذنوب أنواعاً، فإذا زيدَ في الدُّعاء استحضرت، ولهذا كان من دُعاء الرسول **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي كُلَّهُ، دِقَّةً وَجِلَّةً، وَأَوَّلَهُ وَآخِرَهُ، وَعَلَانِيَتَهُ وَسِرَّهُ». (١)



(١) انظر الشرح الممتع ٣/ ١٣٠. وشرح رياض الصالحين ٦/ ١٩.



﴿ فائدة ﴾

النوم إذا قصد به الاستعانة على العبادة كان عبادة، وهكذا كل شيء مباح يقصد به التقوي على الطاعة يكون طاعة؛ ولهذا أخذ أهل العلم من هذه قاعدة فقهية مفيدة جداً، وهي: «الوسائل لها أحكام المقاصد» أي: أن الوسيلة ينظر في القصد منها، فيكون لها حكم ذلك القصد، وهذه القاعدة مأخوذة من القرآن والسنة. (١)



(١) انظر التعليق على صحيح البخاري ٥٦٥ / ٨ .



﴿ فائدة ﴾

بعض الملحدين قال: إنه يجب أن نقول في: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ (١) نقول: هو الله أحد؛ لأن الله قال: ﴿قُلْ﴾، فامثال الأمر أن تقول: ﴿هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ (١)، وكذلك ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ (١)، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ (١)، وهذا من إلحادهم واعتراضهم على القرآن، وعلى ما أجمعت عليه الأمة، وقد أجمعوا على أن من أنكر حرفاً من القرآن فهو كافر، فكيف بمن ينكر جملة؟!!

ولكن ما الفائدة أن يقولها الإنسان؟ هل الفائدة مجرد أجر التلاوة فقط؟

الجواب: لا، ولكن الفائدة مع ذلك: أن تشعر بأنك مأمور من الله عَزَّوَجَلَّ أن تقول، ومعلوم أن من يشعر بأنه مأمور ليس كمن يقولها كأنها من عند نفسه، وهذه فائدة عظيمة، ولو كنت تقول: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ (١) **اللَّهُ الصَّكْمُ** (٢) لكنت قد تغفل عن كونها أمراً من الله عَزَّوَجَلَّ أن تقولها، وأن يكون هذا مجرد أنك أثبتت على ربك بهذا الشاء، وكذلك: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ (١)، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ (١) أن تكون من دعائك الخاص، فإذا قلت: ﴿قُلْ﴾ تشعر بأنك مأمور من قبل الله عَزَّوَجَلَّ. (١)

(١) انظر التعليق على صحيح البخاري ٢٣٢ / ٩ .



﴿ فائدة ﴾

قال الله تعالى: ﴿ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ﴾ [سورة النساء: آية ٦٩]؛ هذه الآية تفسير لقوله تعالى: ﴿ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾ [سورة الفاتحة: آية ٧]؛ ولهذا ينبغي للإنسان إذا قرأ الفاتحة أن يستحضر هؤلاء الأصناف الأربعة المهديين الذين هم خيرة عباد الله. (١)



(١) انظر التعليق على صحيح البخاري ٣٩٣/٩.



﴿ فائدة ﴾

قد فشا هذا الأمر أعني الهواجيس في الصلاة، ولكن الذي يعين على إزالته هو أن يفتقر العبد إلى ربه، ويسأله دائماً أن يعينه على إحسان العمل، وأن يستحضر عند دخوله في الصلاة أنه سيقف بين يدي ربه وخالقه الذي يعلم سره ونجواه، ويعلم ما توسوس به نفسه، وأن يعتقد بأنه إذا أقبل على ربه بقلبه أقبل الله عليه، وإن أعرض أعرض الله عنه، وأن يؤمن بأن روح الصلاة ولبها هو الخشوع فيها وحضور القلب، وأن الصلاة بلا خشوع القلب كالجسم بلا روح، وكالقشور بلا لب، ومن الأمور التي تستوجب حضور القلب أن يستحضر معنى ما يقول، وما يفعل في صلاته، وأنه إذا كبر، ورفع يديه، فهو تعظيم لله، وإذا وضع اليمنى على اليسرى، فهو ذل بين يديه، وإذا ركع، فهو تعظيم لله، وإذا سجد، فهو تطامن أمام علو الله، وأنه إذا قال: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (٢) أجابه الله من فوق عرشه قائلاً: حمدني عبدي، فإذا قال: ﴿الرَّحْمَنَ الرَّحِيمَ﴾ (٣) قال الله: أثنى علي عبدي، فإذا قال: ﴿مَلِكٍ يَوْمَ الدِّينِ﴾ (٤) قال الله: مجدني عبدي، فإذا قال: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ



نَسْتَعِينُ قال الله: هذا بيني وبين عبدي نصفين، ولعبي ما سأل، هكذا يجيبك مولاك من فوق سبع سموات، فاستحضر ذلك، وإنك إذا قلت: سبحان ربي العظيم، سبحان ربي الأعلى، وإن كنت تقولها بصوت خفي، فإن الله تعالى يسمع ذلك، وهو فوق عرشه، فما ظنك إذ آمنت بأن الله تعالى يقبل عليك إذا أقبلت عليه في الصلاة، وإنه يسمع كل قول تقوله، وإن كان خفياً، ويرى كل فعل تفعله، وإن كان صغيراً، ويعلم كل ما تفكر فيه، وإن كان يسيراً، إذا نظرت إلى موضع سجودك، فالله يراك، وإن أشرت بأصبعك عند ذكر الله في التشهد، فإنه تعالى يرى إشارتك، فهو تعالى المحيط بعبده علماً وقدرة وتدبيراً وسمعاً وبصراً، وغير ذلك من معاني ربوبيته. ^(١)



(١) انظر الضياء اللامع من الخطب الجوامع ١/ ١٣٣



﴿ فائدة ﴾

بعض الناس ينفق على أهله ما ينفق ولكنه لا يشعر بأنه يتقرب إلى الله بهذا الإنفاق، ولو جاءه مسكين وأعطاه ريالاً واحداً يشعر بأنه متقرب إلى الله بهذه الصدقة، ولكن الصدقة الواجبة على الأهل أفضل وأكثر أجراً. ^(١)



(١) انظر شرح رياض الصالحين ٤/ ٣٨٩ .



﴿ فائدة ﴾

كان ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يقول: إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء، أخذه من وصية النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح: يعني أعمل عمل الجاد الذي يستحضر أن أجله قد حضر؛ ليكون مستعداً غاية الاستعداد، لا تقل: أفعل هذا غداً ربما لا تدرك غداً، وفي الصباح لا تؤخر إلى المساء؛ لأنك ربما لا تدرك المساء، وهذا أمر مشاهد، فالإنسان الحازم هو الذي ينتهز الفرص ويأخذ بالجد. ^(١)



(١) انظر فتح ذي الجلال والإكرام ٦ / ٣٣٤ .



﴿ فائدة ﴾

فإن قال قائل: ما الحكمة من رفع اليدين في الصلاة؟

فالجواب على ذلك: أن الحكمة في ذلك الاقتداء برسول الله

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهو الذي يسلم به المرء من أن يتجول عقله هنا

وهناك ...

فالمؤمن إذا قيل له: هذا حكم الله ورسوله، وظيفته أن يقول:

سمعنا وأطعنا. ومع ذلك يمكن أن نتأمل لعنا نحصل على حكمة

من فعل الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ونقول: الحكمة في رفع اليدين

تعظيم الله عزَّوَجَلَّ، فيجتمع في ذلك التعظيم القولي والفعلي والتعبد

لله بهما، فإن قولك: «الله أكبر» لا شك أنك لو استحضرت معنى

هذا تماماً لغابت عنك الدنيا كلها؛ لأن الله أكبر من كل شيء،

وأنت الآن واقف بين يدي من هو أكبر من كل شيء. (١)



(١) انظر الشرح الممتع ٣/٢٨.



﴿ فائدة ﴾

من ورث الأنبياء في علمهم ودعوتهم إلى الله واستقامة حاله فقد أكرمه الله، وكل مسألة يمن الله عليك بعلمها فهي إكرام من الله لك، لأنك زدت على الجهل مرتبة، فيجب على طالب العلم أن يشعر بأن الله تعالى أكرمه بما من عليه بطلب العلم كما أكرم الرسل بالرسالة. (١)



(١) انظر شرح عقيدة أهل السنة والجماعة ص ٣٥٧.



﴿ فائدة ﴾

من فوائد قوله في الحديث: (وإنك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلا أجرت عليها)، أن الإنسان إذا أنفق نفقة يبتغي وجه الله فإنه يثاب عليها، حتى النفقات على أهله وعلى زوجته، بل وعلى نفسه؛ إذا ابتغى بها وجه الله أثابه الله عليها.

وفيه إشارة إلى أنه ينبغي للإنسان أن يستحضر نية التقرب إلى الله في كل ما ينفق حتى يكون له في ذلك أجر. كل شيء تنفقه صغيراً كان أم كبيراً، على نفسك أو على أهلك أو على أصحابك أو على أي واحد من الناس؛ إذا ابتغيت به وجه الله أثابك الله على ذلك. (١)



(١) انظر شرح رياض الصالحين ١/ ٥٩



﴿ فائدة ﴾

كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول في صلاته: «اللهم اغفر لي ذنبي كله دقه وجله، وعلايته وسره وأوله وآخره» وهذا من باب التبسط في الدعاء والتوسع فيه؛ لأن الدعاء عبادة فكل ما كرهه الإنسان ازداد عبادة الله عَزَّوَجَلَّ، ثم إنه في تكراره هذا يستحضر الذنوب كلها السر والعلانية وكذلك ما أخفاه وكذلك دقه وجله، وهذه هي الحكمة في أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فصل بعد الإجمال فينبغي للإنسان أن يحرص على الأدعية الواردة عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأنها أجمع الدعاء وأنفع الدعاء وفقنا الله وإياكم لما فيه الخير والصلاح. (١)



(١) انظر شرح رياض الصالحين ٥/٥١٠



﴿ فائدة ﴾

من فوائد قوله في الحديث: «السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين»: فضيلة الصلاح: فكل صالح يدعو له المسلمون في كل صلاة من أول التشهد إلى يوم القيامة وهو لا يدري، فإذا أوصاك رجل بالدعاء فتقول: أنا أدعوك في كل صلاة إن كنت صالحًا، لقوله في الحديث: «السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين».

ومن فوائد هذا الحديث: أن اللفظ العام يشمل جميع أفرادهم، دليل ذلك: أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «إذا فعلتم ذلك فقد سلمتم على كل عبد صالح في السماء والأرض»، مع أن الإنسان حينما يدعو بهذا قد لا يستحضر العموم، لكن نقول: اللفظ موضوع للعموم.^(١)



(١) انظر فتح ذي الجلال والإكرام ٤٠٢/٣.



﴿ فائدة ﴾

الغرض من الصيام ليس ترويض البدن على تحمل العطش وتحمل الجوع والمشقة، ولكن هو ترويض النفس على ترك المحبوب لرضا المحبوب والمحبوب المتروك هو الأكل والشرب والجماع هذه هي شهوات النفس. أما المحبوب المطلوب رضاه فهو الله فلا بد أن نستحضر هذه النية أننا نترك هذه المفطرات طلباً لرضا الله. (١)



(١) انظر كتاب ٤٨ سؤالاً في الصيام



﴿ فائدة ﴾

﴿ البركة في السحور من عدة أوجه :

الأول: أنه امثال لأمر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لقوله: «تسحروا»، وما أبرك امثال أمر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقد قال الله - تعالى - : ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [سورة الأحزاب: آية ٧١]، وجرب قلبك إذا فعلت الشيء اتباعاً للرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وامتثالاً لأمره تجد لذة في الفعل ونشاطاً عليه، بخلاف ما إذا فعلته أنه عبادة فقط، وأنها مجرد شيء واجب فهذا لا بأس به لكن ليس كالذي يشعر بأنه ممثّل لأمر الله ورسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

الثاني: أن فيه مخالفة لأهل الكتاب، وقد أمرنا بمخالفتهم، ففيه فصل بيننا وبين صيام أهل الكتاب، كما قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فصل ما بيننا وبين أهل الكتاب أكلة السحور»، ولا شك أن مخالفة الكفار - ولا سيما فيما يقصد به التعبد - خير وبركة، و«من تشبه بقوم فهو منهم» فكل شيء يميز المسلم من الكافر، سواء في اللباس، أو في الحلّي، أو في أي شيء، فإنه خير وبركة؛ لأنه لا خير



في موافقة المشركين أبدًا أو اليهود والنصارى في أي شيء، أما في العبادات فهذا قد يؤدي إلى الشرك والكفر، وأما في العادات؛ فلأن التشبه بهم في الأمور الظاهرة قد يوصل إلى التشبه في الأمور الباطنة، والغالب أنه ما من شخص يتشبه بإنسان إلا وهو يجد في نفسه إعجابًا به، وأنه أهل لأن يشتبه به ويقتدي به، أو ربما يكون في قلبه محبة له، وهذا شر مما قبله بالنسبة للكافرين .

الثالث: أن فيه تقوية على الصوم، وما أعان على الطاعة يثاب عليه الإنسان، فإن الذي يتسحر يكون أقوى على الصوم من الذي لا يتسحر، وهذا مجرب مشاهد .

الرابع: أن فيه عونًا على طاعة الله؛ لأن الإنسان يأكله ليتقوى به على عبادة الله **عَزَّوَجَلَّ** وهذا لا شك أنه بركة، فكل شيء يعين على طاعة الله فهو خير وبركة وهذا غير الذي قبله، فالذي قبله تحصل به القوة مباشرة، أما هذا فمعه النية، أي: أنه فعلة ليتقوى به على عبادة الله **عَزَّوَجَلَّ**.

فهل نحن عند أكل السحور نشعر بأمر الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأنه بركة؟ الواقع أنه قليل؛ لأننا ننسى، لكن من حين أن تقدم



على السحور أو يقدم لك استشعر الأمر.

الخامس: أن فيه اقتداء برسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مع امتثال أمره فإن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يتسحر، ولا شك أن الفعل الذي تقتدي فيه برسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خير وبركة، فما أبرك الاقتداء به صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

السادس: أن فيه حفظاً لقوة النفس وقوة البدن، والإنسان مأمور أن يقوي بدنه ويتعد عما يضر البدن ولأن النفس كلما نالت حظها من الأكل والشرب استراحت، وكذلك البدن كلما نال حظه من الأكل والشرب نما وبقيت قوته؛ ولهذا يكره للإنسان أو يحرم أن يصلي بحضرة طعام يشتهي؛ لأن ذلك يوجب تشويش قلبه، وانشغال ذهنه.

السابع: أن البركة حسية ظاهرة، فإن الإنسان إذا كان مفطراً يأكل في اليوم مرتين أو ثلاثاً ويشرب مراراً، وإذا تسحر وصام فلا يأكل ولا مرة واحدة، ولا يشرب ولا مرة واحدة، ولذلك يتعجب الإنسان، يقول: كيف بالأمس شربت ست أو سبع مرات في اليوم، والآن أصبر على الماء؟! وكذلك في الأكل، وهذا من بركته.



فهذه سبعة أوجه كلها يشملها قول الرسول **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**:
«**فإن في السحور بركة**»، وربما يكون هناك بركات أخرى معنوية
غير ظاهرة لنا؛ لأن الرسول **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** ما أمر به وعلله بهذه العلة
إلا وفيه منافع كثيرة للعباد. ^(١)



(١) انظر فتح ذي الجلال والإكرام ٧/ ١٢١ .



﴿ فائدة ﴾

من آداب النوم: أن ينام الإنسان على الشق الأيمن؛ لأن هذا فعل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأمره، فالبراء بن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ روى أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يضطجع على شقه الأيمن، والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمر البراء بن عازب أن ينام على شقه الأيمن، هذا هو الأفضل، سواء كانت القبلة خلفك أو أمامك أو عن يمينك أو عن شمالك، النوم على الأيمن هو المهم لأمر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ به .

بعض الناس اعتاد أن ينام على الجنب الأيسر ولو نام على الأيمن ربما لا يأتيه النوم لكن عليه أن يعود نفسه؛ لأن المسألة ليست بالأمر الهين، ثبت من فعل الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأمره، فأنت إذا نمت على الجنب الأيمن تشعر بأنك متبع للرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ حيث كان ينام على جنبه الأيمن، وممثل لأمره حيث أمر به عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، فعود نفسك وجاهدها على ذلك يوماً أو يومين أو أسبوعاً حتى تستطيع النوم وأنت ممثِل لسنة نبيك صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. (١)

(١) انظر شرح رياض الصالحين ٤ / ٣٣٤



﴿ فائدة ﴾

يوجد ملائكة حفظة يسمون المعقبات، يعقب بعضها بعضاً:

﴿لَهُمْ مُعَقَّبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ [سورة الرعد: آية

١١]. فهو لاء يتعاقبون فينا ليلاً ونهاراً يجتمعون في صلاة الفجر وفي

صلاة العصر، ينزل ملائكة النهار في صلاة الفجر، ويغادر ملائكة

الليل في صلاة الفجر، وينزل ملائكة الليل في صلاة العصر ويغادر

ملائكة النهار في صلاة العصر فانظر اعتناء الله **عَزَّوَجَلَّ** بنا؛ يسخر

الملائكة أن تنزل علينا ونحن نصلي، وأن تغادرنا ونحن نصلي؛

إكراماً لنا، وإظهاراً لفضلنا في هذه الصلاة.

إذا الملائكة عَلَيْهِمُ السَّلَامُ لَهُمْ وظائف متعددة شتى فنؤمن

بالملائكة إجمالاً، ونؤمن بما علمنا من تفاصيل حالهم على وجه

التفصيل، ولا يتم إيماننا إلا بذلك، والإنسان يحيط به ملائكة

يحفظونه من أمر الله، ويحيط به شياطين يأتونه من كل جانب،

قال الله **عَزَّوَجَلَّ** عن الشيطان: ﴿قَالَ فِيمَا أُغْوَيْتَنِي لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ

المُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِّنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَنِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا

يَجِدُوا كَثْرَهُمْ شَكْرِينَ ﴿١٧﴾ [سورة الأعراف: آية ١٦-١٧].



فاستحضر - يا أخي - أن الملائكة تحفظك من هؤلاء
الشياطين؛ لتزداد قوة، وتزول عنك الوحشة، ولا تخضع وتذل
وتخف من الشياطين، فما دمت تشعر أن الله قد سخر لك ملائكة؛
معقبات من بين يديك ومن خلفك يحفظونك من أمر الله، فكن
قويًا بهذا الحفظ، فبعض الناس تغلبه الشياطين، وينسى الملائكة
الذين يحفظونه؛ فتجده في وحشة، وربما يدخله الشيطان من
الوحشة، فيقشعر جلده ويفز؛ وحينئذ يكون سببًا لدخول الجني
فيه، فإذا شعر الإنسان بأن عنده ملائكة يحفظونه من أمر الله اطمأن؛
وقال: الحمد لله، جنود من جنود الله عزَّوجلَّ، وجنود الرحمن أقوى
من الشياطين. (١)



(١) انظر فتح ذي الجلال والإكرام ١١ / ٢٨٨ .



﴿ فائدة ﴾

لا تنس الاستعانة بالله ولو على الشيء اليسير، وفي الحديث:
(ليسأل أحدكم ربه حاجته حتى يسأله الملح، وحتى يسأله شسع
نعله إذا انقطع) يعني حتى الشيء اليسير لا تنس الاستعانة بالله
عَزَّوَجَلَّ، حتى ولو أردت أن تتوضأ أو تصلي أو تذهب يميناً أو
شمالاً أو تضع شيئاً فاستحضر أنك مستعين بالله عَزَّوَجَلَّ، وأنه لولا
عون الله ما حصل لك هذا الشيء. (١)



(١) انظر شرح رياض الصالحين ٢/ ٨٠



فائدة

قال الله تعالى: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ [سورة الأعلى: آية ١] قوله: ﴿الْأَعْلَى﴾ من العلو، وعلو الله عزَّجَلَّ نوعان: علو صفة، وعلو ذات، أما علو الصفة: فإن أكمل الصفات لله عزَّجَلَّ، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى﴾ [سورة النحل: آية ٦٠].

وأما علو الذات: فهو أن الله تعالى فوق عباده مستو على عرشه، والإنسان إذا قال: يا الله أين يتجه؟ يتجه إلى السماء إلى فوق، فالله جَلَّ وَعَلَا فوق كل شيء مستو على عرشه. إذن ﴿الْأَعْلَى﴾ إذا قرأتها فاستشعر بنفسك أن الله عال بصفاته، وعال بذاته، ولهذا كان الإنسان إذا سجد يقول: سبحان ربي الأعلى، يتذكر بسفوله هو، لأنه هو الآن نزل، فأشرف ما في الإنسان وأعلى ما في الإنسان هو وجهه ومع ذلك يجعله في الأرض التي تداس بالأقدام، فكان من الحكمة أن تقول: سبحان ربي الأعلى، يعني أنزه ربي الذي هو فوق كل شيء، لأني نزلت أنا أسفل كل شيء، فتسبح الله الأعلى بصفاته، والأعلى بذاته، وتشعر عندما تقول: سبحان ربي الأعلى، أن ربك تعالى فوق كل شيء، وأنه أكمل كل شيء في الصفات. (١)

(١) انظر تفسير جزء عم ص ١٥٩



﴿ فائدة ﴾

نصيحة من الشيخ رَحْمَةُ اللَّهِ لأحد طلابه حول منهج يسير عليه:

﴿ أولاً: مع الله عَزَّوَجَلَّ:

١. احرص على أن تكون دائماً مع الله عَزَّوَجَلَّ، مستحضراً عظمته، متفكراً في آياته الكونية مثل: خلق السماوات والأرض وما أودع فيهما من بالغ حكمته، وباهر قدرته، وعظيم رحمته ومنتته. وآياته الشرعية التي بعث بها رسله ولا سيما خاتمهم محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.
 ٢. أن يكون قلبك مملوءاً بمحبة الله تعالى لما يغذوك به من النعم ويدفع عنك من النقم ولا سيما نعمة الإسلام، والاستقامة عليه حتى يكون أحب شيء إليك.
 ٣. أن يكون قلبك مملوءاً بتعظيم الله عَزَّوَجَلَّ، حتى يكون في نفسك أعظم شيء.
- وباجتماع محبة الله تعالى، وتعظيمه في قلبك، تستقيم على



طاعته، قائماً بما أمر به لمحبتك إياه، تاركاً لما نهى عنه لتعظيمك له.

٤. أن تكون مخلصاً له **جَلَّ وَعَلَا** في عباداتك متوكلاً عليه في جميع أحوالك لتحقيق بذلك مقام **إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ**.

وتستحضر بقلبك أنك إنما تقوم بما أمر امتثالاً لأمره، وتترك ما نهى عنه امتثالاً لنهييه، فإنك بذلك تجد للعبادة طعمًا لا تدركه مع الغفلة، وتجد في الأمور عوناً منه لا يحصل لك مع الاعتماد على نفسك.

ثانياً: مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

١. أن تقدم محبته على محبة كل مخلوق، وهديه وسنته على كل هدي وسنة.

٢. أن تتخذه إماماً لك في عباداتك وأخلاقك بحيث تستحضر عند فعل العبادة أنك متبع له، وكأنه أمامك ترسم خطاه وتنهج نهجه. وكذلك في مخالقة الناس أنك متخلق



بأخلاقه التي قال الله له عنها ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ ﴿٤﴾
[سورة القلم: آية ٤].

ومتى التزمت بهذا فستكون حريصاً غاية الحرص على العلم بشريعته وأخلاقه.

٣. أن تكون داعياً لسنته ناصرأً لها مدافعاً عنها فإن الله تعالى سينصرك بقدر نصرك لشريعته. (١)



(١) انظر مجموع الفتاوى ٢٦/٤٣٦



﴿ فائدة ﴾

العبادات المتنوعة يشرع للإنسان أن يفعلها على تلك الوجوه التي أتت عليها، فمثلاً: الاستفتاح هناك استفتاحات متنوعة إذا استفتح بواحد منها أتى بالمشروع.

فمنها ما دل عليه حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «اللهم باعد بيني وبين خطاياي، كما باعدت بين المشرق والمغرب، اللهم نقني من خطاياي كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس، اللهم اغسلني من خطاياي بالماء والثلج والبرد».

ومنها أيضاً: «سبحانك اللهم وبحمدك، وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا إله غيرك».

فلو استفتح بالأول، أو الثاني، أو بغيرهما مما ورد من الاستفتاحات. فلا حرج عليه، بل الأفضل أن يستفتح بهذا تارة وبهذا تارة.

وكذلك ما ورد في التشهد، وكذلك ما ورد في أذكار الصلوات

...



وأعلم أن تنوع العبادات والأذكار من نعمة الله عزَّجَلَّ على الإنسان؛ وذلك لأنه يحصل بها عدة فوائد، منها:
أن تنوع العبادات يؤدي إلى استحضار الإنسان ما يقول من الذكر؛ فإن الإنسان إذا داوم على ذكر واحد صار يأتي به بدون أن يحضر قلبه، فإذا تعمد وقصد تنويعها فإنه بذلك يحصل له حضور القلب.

❁ ومن فوائد تنوع العبادات:

أن الإنسان قد يختار الأسهل منها والأيسر لسبب من الأسباب، فيكون في ذلك تسهيل عليه.
ومنها: أن في كل نوع منها ما ليس في الآخر فيكون في ذلك زيادة ثناء على الله عزَّجَلَّ. (١)



(١) انظر مجموع الفتاوى ٢٨٦/١٣



﴿ فائدة ﴾

العبادة مبنية على أمرين عظيمين، هما المحبة والتعظيم، الناتج عنهما: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَشِيعِينَ﴾ [سورة الأنبياء: آية ٩٠]، فبالمحبة تكون الرغبة، وبالتعظيم تكون الرهبة والخوف.

ولهذا كانت العبادة أوامر ونواهي: أوامر مبنية على الرغبة وطلب الوصول إلى الأمر، ونواهي مبنية على التعظيم والرهبة من هذا العظيم.

فإذا أحببت الله عَزَّجَلَّ، رغبت فيما عنده ورغبت في الوصول إليه، وطلبت الطريق الموصل إليه، وقمت بطاعته على الوجه الأكمل، وإذا عظمته خفت منه، كلما هممت بمعصية، استشعرت عظمة الخالق عَزَّجَلَّ، فنفرت، ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ﴾ [سورة يوسف: آية ٢٤]، فهذه من نعمة الله عليك، إذا هممت بمعصية، وجدت الله أمامك، فهبت وخفت وتباعدت عن المعصية، لأنك تعبد الله رغبة ورهبة. (١)

(١) انظر شرح العقيدة الواسطية ص ١٨ .



﴿ فائدة ﴾

عندما تأتي إلى الصلاة فاستشعر أنك مستعين بالله عَزَّوَجَلَّ
ومعتمد عليه ومتوكل عليه، وأعتقد أن أكثر الناس لا يقرأ على
بالهم أنهم مستعينون بالله، بل يأتي يصلي على العادة. (١)



(١) انظر تفسير سورة الفاتحة ص ٦٧ .



﴿ فائدة ﴾

ينبغي للإنسان أن يتعاهد مسواكه ويغسله، أما أن يبقى طوال الدهر لا يغسل، فهذا لا يزيدك إلا تلويثاً .

قال بعض أهل العلم: ويتسوك عند قراءة القرآن؛ لأن الملك يتلقف القرآن من فم الإنسان إذا قام يقرأ القرآن، فينبغي أن يتسوك؛ ليكون فمه طيباً طاهراً .

ثم إننا ننبه في آخر كلامنا هذا على أن تقصد بالسواك مرضاة الرب، فهو أهم من كونك تنظف الفم، لأن النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** قال: **(السواك مطهرة للفم، مرضاة للرب)** فأنت إذا تسوكت تنال بذلك رضا الله **عَزَّجَلَّ**، فانتبه لهذه النقطة، لأن كثيراً من الناس لا ينتبهون لمثل هذه الأشياء الدقيقة، فيفوتهم خير كثير. ^(١)



(١) انظر شرح مشكاة المصابيح ٢/٣٢٦ .



﴿ فائدة ﴾

ينبغي لنا - نسأل الله أن يوقظ قلوبنا - ألا ننوي بأكلنا وشرابنا مجرد التشهي، بل ننوي به:

أولاً: امثال أمر الله عزَّجَلَّ لأن الله أمرنا بالأكل والشُّرب في قوله تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا﴾ [سورة الأعراف: آية ٣١].

ثانياً: ننوي بذلك حفظ أبداننا لأن بدنك أمانة عندك ائتمنك الله تعالى عليه ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنفُسُكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾ [سورة التحريم: آية ٦] هذه الأمانة الدينية، والأمانة البدنية الدنيوية ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ﴾ [سورة النساء: آية ٢٩]، ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ [سورة البقرة: آية ١٩٥].

ثالثاً: ننوي بذلك التنعم بنعم الله، والتنعم بنعم الله قربة، لأنه يدلُّ على قبولك لنعمة الله عليك، ومعلوم أن قبول ذي المنة اعتراف بفضلِه عزَّجَلَّ.

رابعاً: ننوي بذلك التقوى على الطاعة ولهذا قال النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ (تسحروا فإن في السحور بركة) أمرنا بالسحور من أجل التقوى على الصيام. (١)

(١) انظر اللقاءات الرمضانية ص ٢١.



﴿ فائدة ﴾

ينبغي للمتزوج أن يلاحظ نية التعبد والتقرب إلى الله عزَّجَلَّ في نكاحه حتى يحصل على فائدتين: فائدة العبادة، وفائدة قضاء الوطر، وهذه النية تغيب عن كثير من المتزوجين حيث إن كثيراً منهم لا يلاحظ ولا يستشعر عند عقد النكاح والدخول إلا قضاء الوطر، وهذا في حد ذاته خير، لأن فيه الإعفاف وكفَّ البصر وغيبه، لكن استشعار التعبد لله تعالى بطاعة رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ خير من ذلك وأعلى. (١)



(١) انظر كتاب الزواج ص ٥٢ .



﴿ فائدة ﴾

﴿ كيف يكون إخلاص النية في العمل؟ ﴾

نقول: إخلاص النية في العمل هو أن يتناسى الإنسان كل ما سوى الله، وأن لا يكون الحامل له على هذه العبادة إلا امتثال أمر الله **عَزَّوَجَلَّ**، وإرادة ثوابه ووجهه **عَزَّوَجَلَّ**، وأن يتناسى كل شيء يتعلق بالدنيا في هذه العبادة، فلا يهتم بالناس أرأوه أم لم يروه، أسمعوه أم لم يسمعوه، ولا يبالي بهم أثنوا عليه أم قدحوا فيه، وكذلك أيضاً من أسباب الإخلاص أن يكون الإنسان حين قيامه بالعبادة مستحضراً لأمر الله **عَزَّوَجَلَّ** بها، ومستحضراً لاتباع الرسول **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** فيها، مثال ذلك رجل قام يتوضأ للصلاة، فهنا نقول:

أولاً: استحضر أنك إنما قمت، نعم، استحضر أنك إنما توضأت امتثالاً لأمر الله **عَزَّوَجَلَّ**، كأنك الآن تقرأ قول الله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾ [سورة المائدة: آية ٦]، وكأنك في وضوئك تقول: سمعاً وطاعة، تجد في



هذا حلاوة ولذة وحباً للطهارة؛ لأن الله أمرك بها، ثم استحضر أنك في هذا العمل متبعٌ لرسول الله **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، كأنما رسول الله **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** أمامك وأنت تتبعه في هذا الوضوء، وبهذا يتحقق لك الثواب والأجر للإخلاص والمتابعة، وبذلك تحقق شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله. ^(١)



(١) انظر فتاوى نور على الدرب ١/٤١٦ .



﴿ فائدة ﴾

﴿ مما يعين على الخشوع : ﴾

أن الإنسان يفرغ قلبه إذا أقبل على الصلاة تفريناً كاملاً، ويشعر بأنه واقفٌ بين يدي الله عزَّجَلَّ، وأن الله عزَّجَلَّ يعلم ما في قلبه كما يعلم تحركاته في بدنه، ليس كالمملوك، يمكن أن تقف أمام الملك متأدباً بظاهرك وقلبك في كل مكان ولا يعلم، لكن الله عزَّجَلَّ يعلم ظاهرك وباطنك، فاستحضر أنك بين يدي الله، وإذا قلت: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿٢﴾ استحضر أن الله يجيبك؛ لأنه ثبت في الصحيح عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: (قال الله تعالى: قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين، فإذا قال: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿٢﴾ قال: حمدني عبدي، وإذا قال: ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ ﴿٣﴾ قال: أثنى عليَّ عبدي، وإذا قال: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ ﴿٤﴾ قال: مجدني عبدي، وإذا قال: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ ﴿٥﴾ قال: هذا بيني وبين عبدي نصفين، وإذا قال: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ ﴿٦﴾، قال: هذا لعبدي ولعبدي ما سألت).



لو أننا استحضرتنا هذه المحاوره مع الله عزَّجَلَّ، هل يمكن أن
تلتفت قلوبنا يميناً أو شمالاً؟ لكن المصلي في غفلة؛ فمن أكبر
العون على الخشوع أولاً: أن يعتقد الإنسان أنه واقف بين يدي
الله. (١)



(١) انظر لقاء الباب المفتوح ص ٢١



﴿ فائدة ﴾

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ قُرْءَانَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ [سورة الإسراء: ٧٨]

آية [٧٨]، يجتمع في صلاة الصبح ملائكة الليل وملائكة النهار، ثم تصعد ملائكة الليل، وتبقى ملائكة النهار .

وهذا من عظمة الله عزَّجَلَّ أن هؤلاء الملائكة الموكلون بحفظ بني آدم يتعاقبون بانتظام عند صلاة الصبح وعند صلاة العصر، ولهذا ينبغي للإنسان أن يستحضر هذا وهو يصلي الفجر، وهو أن الملائكة الموكلين بحفظ بني آدم مجتمعون في هذه الصلاة، وكذلك عند صلاة العصر، لكننا -والله- نغفل كثيراً حتى تمر بنا هاتان الصلاتان، وكأنهما بقية الصلوات، وهذا أمر سببه الغفلة عن هذه الأمور العظيمة، وإلا فإنك لو استحضرت وأنت تصلي الفجر أن ملائكة الليل وملائكة النهار شاهدون معك في هذه الصلاة، وكذلك في العصر، لو جدت لهاتين الصلاتين شأنًا كبيراً، وأمرًا عظيماً، لا تجده في غيرهما. (١)

(١) انظر شرح الكافية الشافية ٢ / ٨٥ .



﴿ فائدة ﴾

من خُلِقَ للعبادة ينبغي أن يجعل عمله كله عبادة؛ ولهذا كان الموفقون الكيسون يجعلون عاداتهم عبادة، والغافلون يجعلون عباداتهم عادة، تجد الموفق وأسأل الله أن يجعلنا ومن سمع منهم، تجده إن أكل يأكل امتثالاً لأمر الله؛ لأن الله أمر كلوا واشربوا ويقصد بالأكل حفظ بدنه، وهو مأمور بحفظ بدنه، إن أكل يريد الاستعانة به على طاعة الله، فلو أكل الآن الذي يتلذذ به أكلاً وشرباً، يكون طعامه الذي يتلذذ به أكلاً وشرباً يكون عبادة، إن لبس ينوي بذلك ستر عورته وسواته عن الناس، ثم يتذكر بهذا أنه كما يحب أن يستر عورته الحسية عن الناس، فليستر عورته المعنوية بالتوبة إلى الله؛ ولهذا لما قال الله عزَّجَلَّ: ﴿يَبْنِيْءَ آدَمَ قَدَّ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُورِي سَوْءَ تِكُمْ﴾ [سورة الأعراف: آية ٢٦]، وهذا اللباس الضروري: ﴿وَرِيْشًا﴾، وهذا لباس الجمال قال: ﴿وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِك خَيْرٌ﴾، لباس التقوى ذلك خير، فإذا نوى واستحضر بقلبه عند اللباس، هذا المعنى صار اللباس عبادة، وهكذا العادات يستطيع المؤمن الموفق الكيس أن يجعل من عاداته عبادات،



والغافل عباداته عادات، اعتاد إنه إذا أذن في المسجد يصلي، واعتاد أنه إذا جاء رمضان صام، واعتاد أنه إذا جاء وقت الزكاة تصدق، وهو في غفلة، ولهذا النية لها مدخل عظيم في العبادات، فمثلاً أكثر الناس إذا جاء وقت الصلاة، أو أراد أن يصلي نافلة، قام وتوضأ وصلى، لكن هل منا من يستحضر إذا كان يصلي يمثل أمر الله في قوله: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾ [سورة المائدة: آية ٦]. هل يستحضر أنه يطبق قول الله عزَّوَجَلَّ: ﴿فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ﴾، عند غسل وجهه. الذي ينبغي لنا أن نستحضر هذا، ونخلص لله عزَّوَجَلَّ ونقول: أغسل وجهي امثالاً لأمر الله، أغسل يدي امثالاً لأمر الله، أمسح رأسي امثالاً لأمر الله، أغسل رجلي امثالاً لأمر الله، ثم يستحضر أيضاً معنأً آخر، أنني أفعل هذا اتباعاً لرسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، وكأني أشاهد الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يتوضأ على هذه الكيفية، حين إذن نحقق في هذا الاستحضار الإخلاص لله، والمتابعة لرسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم.



والحقيقة أن الإنسان إذا عرف قدره وقدر حياته، استطاع
بمعونة الله **عَزَّوَجَلَّ** أن يقلب عاداته عبادات، وأن يكمل عباداته
باستحضار هذه النيات، ويكون حق قول الله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿وَمَا خَلَقْتُ
الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ [سورة الذاريات: آية ٥٦].

أسأل الله تعالى أن يمن علي وعليكم وعلى من سمع، بهذه
النية الطيبة. (١)





﴿ فائدة ﴾

يجب علينا أن نعلم نعمة الله عزَّجَلَّ علينا بالأكل والشرب في تيسيره وتسهيله، حتى وصل إلينا، وقد أشار الله - تعالى - إلى هذه النعم في سورة الواقعة، فقال عزَّجَلَّ بعد أن ذكر المادة التي خُلِقَ منها الإنسان، وذكر المواد التي يقوم بها الإنسان: ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ﴾ [٦٣] **﴿أَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ وَأَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ﴾** [٦٤] [سورة الواقعة: آية ٦٤].

الجواب: بل أنت يا ربنا، ﴿لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ﴾ [٦٥] [سورة الواقعة: آية ٦٥] أي لو نشاء لنبت الزرع ونما واستتم، ثم جعله الله حطامًا، بما يُرْسَل عليه من العواصف، أو القواصف، وهذا أشد في الحسرة، من كونه لا ينبت، يعني أن الله لم يقل: لو نشاء لم ينبت، بل قال: ﴿لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا﴾ وهذا أشد؛ لأن تعلق النفس به بعد أن نما واستتم أشد من تعلقها به وهو بذر ﴿إِنَّا لَمَغْرُمُونَ﴾ [٦٦] **﴿بَلْ نَحْنُ مُحْرَمُونَ﴾** [٦٧] **﴿أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ﴾** [٦٨] **﴿أَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ﴾** [٦٩] [سورة الواقعة: آية ٦٩].

الجواب: بل أنت يا ربنا ﴿لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ أُجَاجًا﴾ [سورة الواقعة: آية ٧٠] ولم يقل: لو نشاء لم ننزله من المزن؛ لأن كون الماء بين يديك،



ولكن لا تستطيع أن تشربه لكونه أجاجاً أشد حسرة ﴿فَلَوْلَا نَشْكُرُونَ﴾
﴿٧٠﴾ أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ ﴿٧١﴾ [سورة الواقعة: آية ٧٠-٧١] ويصلح بها
الطعام ﴿ءَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنشِئُونَ﴾ ﴿٧٢﴾ [سورة الواقعة: آية ٧٢].

الجواب: بل أنت يا ربنا.

اذكر هذه النعم، قبل أن تذكر نعمة الله عليك بالأكل والشرب،
ثم اذكر نعمة الله عليك بأنك تسيغ الأكل، ويسهل عليك، وتلذذ
به مذاقاً، وتلذذ به مقرأً في المعدة، وتلذذ به إخراجاً، نعمٌ عظيمة،
ألم يكن في الناس من لا يستطيع أن يسيغ اللقمة أو التمرة؟ بلى،
فاحمد الله.

**كذلك - أيضاً - من الناس من لا يتنعم بقرار الطعام في
المعدة، ومن الناس من لا يتنعم بإخراج هذا الأكل بعد أن تفرقت
الفائدة في الجسد، إذاً اذكر هذا.**

**إننا في الحقيقة - ونسأل الله أن يغفر لنا ويعفو عنا - نأكل كما
تأكل الأنعام، أكثر ما نأكل تشهياً فقط، دون أن نذكر هذه النعم
التي بأيدينا، وليست من صنعنا، اللهم ذكّرنا ما نسينا، وعلمنا ما
جهلنا.**



هذا الأكل الذي تدعو إليه الطبيعة، جعل الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** للموفقين فيه عبادات عند البدء به، وعند الانتهاء منه، وفي أثناءه:
أولاً: اذكر أنك تأكل امثالاً لأمر الله؛ لأن الله أمرك فقال:
﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا﴾ [سورة الأعراف: آية ٣١].

ثانياً: تأكل لتحفظ صحتك وعافيتك، حتى في العبادة إذا كنت مريضاً وخفت من الماء، فإنك تقيم حفاظاً على الصحة، ووقاية للبدن من المرض.

ثالثاً: تأكل لتقوى على طاعة الله، ولا سيما في السحور حيث قال النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:** «**تسحروا فإن في السحور بركة**»، فيكون أكلك الذي تدعو إليه النفس والفترة عبادة من أجل العبادات. (١)



(١) انظر الشرح الممتع ٣٥٦/١٢.



﴿ فائدة ﴾

ينبغي لمن خرج إلى الحج أو غيره من العبادات أن يستحضر نية التقرب إلى الله تعالى في جميع أحواله؛ لتكون أقواله وأفعاله ونفقاته مقربة له إلى الله تعالى، فإنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى.

وينبغي أن يتخلق بالأخلاق الفاضلة مثل الكرم والسماحة والشهامة والانبساط إلى رفقته وإعانتهم بالمال والبدن وإدخال السرور عليهم، هذا بالإضافة إلى قيامه بما أوجب الله عليه من العبادات واجتناب المحرمات. (١)



(١) انظر المنهج لمريد العمرة والحج ص ٥



﴿ فائدة ﴾

لا يصح غسل الكافر لمسلم ؛ لأن الغسل عبادة محضة، ويدل على أنها عبادة أمر النبي **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** بها؛ حيث قال: **(اغسلوه بماء وسدر)** فالغاسل الذي يُغسل الميت ينبغي له أن يستشعر أن الرسول **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** أمره بهذا؛ حتى يكون قائماً بعبادة، أي: يمثّل بها أمر رسول الله **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ**.^(١)



(١) انظر التعليق على الكافي ٣/ ٢٣ .



﴿ فائدة ﴾

﴿ من آداب قراءة القرآن ﴾

أن يخلص الإنسان نيته لله تعالى بتلاوته، فينوي بذلك التقرب إلى الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، حتى لو أراد مع ذلك أن يثبت حفظه إذا كان حافظاً، فإن هذه نية صالحة لا تنافي الإخلاص لله **عَزَّوَجَلَّ**.

ومن الآداب أن يستحضر الثواب الذي رتب على تلاوة القرآن، ليكون محتسباً بذلك على ربه **عَزَّوَجَلَّ**، راجياً ثوابه، مؤملاً مرضاته.

ومن الآداب أن يقرأ بقلب حاضر يتدبر ما يقرأ ويتفهم معانيه ويخشع عند ذلك قلبه ويستحضر بأن الله يخاطبه فيه هذا القرآن؛ لأن القرآن كلام الله **عَزَّوَجَلَّ**.^(١)



(١) انظر فتاوى نور على الدرب ٢ / ١٤٢، ومجالس شهر رمضان ص ٩٢ .



﴿ فائدة ﴾

لِيُعْلَمَ أَنَّ الْمَرْءَ مِنْ حِينَ يَدْخُلُ فِي الْإِحْرَامِ إِلَى أَنْ يَحِلَّ مِنْهُ فَهُوَ فِي عِبَادِهِ، فِي لَيْلِهِ وَنَهَارِهِ، وَنَوْمِهِ وَيَقْظَتِهِ، وَقِيَامِهِ وَقَعُودِهِ، فَلْيَشْعُرْ بِذَلِكَ شَعُورًا تَامًّا، حَتَّى يَحْصُلَ لَهُ زِيَادَةُ الْإِيمَانِ، وَالرَّجُوعُ إِلَى اللَّهِ عَزَّجَلَّ، فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ أَهَمِّ الْأُمُورِ الَّتِي يَنْبَغِي لِلْإِنْسَانِ أَنْ يَعْتَنِيَ بِهَا. (١)



(١) انظر فتاوى سؤال على الهاتف ٦/٢ .



﴿ فائدة ﴾

الإنسان الموفق - نَسأل الله أن يجعلنا وإياكم موفقين - هو الذي يتخذ من عاداته عبادات، والغافل هو الذي يجعل عاداته عادات، الغافل يجيء مثلاً: يقوم يتوضأ ويصلي على العادة، ويتناول الطعام والشراب واللباس أيضاً على العادة.

أما الإنسان الموفق فهو الذي يجعل العادات عبادات، يشعر بأنه يتقرب إلى الله، وكذلك يحتسب الأجر، وأنها ستكون ذخراً له؛ يعني: سلفاً مقدماً: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ [سورة البقرة: آية ٢٤٥] فالأعمال الصالحة هي في الحقيقة سلف، دراهم تقدمها لتأخذها مضاعفة: (الحسنة بعشر أمثالها، إلى سبعمائة ضعف، إلى أضعاف كثيرة).

فالإنسان العاقل يشعر بأن الأمور العادية يمكن أن تكون عبادات، فنحن نتناول الأكل والشرب على أنه شهية لنفوسنا، وهذا من طبيعتنا، لكن الموفق يمكن أن يجعل هذا الأكل والشرب عبادة .



مثلاً: في السحور، كلنا نجلس على مائدة السحور، فهل نشعر ونحن نأكل السحور بأن النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يقول: (تسحروا فإن في السحور بركة)؟! إلا من شاء الله وهم قليل.

إذن: إذا جلست على السحور تذكر: أولاً: أمر النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ في قوله: (تسحروا).

ثانياً: سنته، أنه هو نفسه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يتسحر، فكأنه أمامك يتسحر وأنت تقتدي به.

ثالثاً: رجاء بركة هذا السحور؛ لأن النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يقول: (فإن في السحور بركة).

لا ندري هل نحن نشعر بهذه الأمور الثلاثة عند تناول السحور أم لا؟...

لكن الإنسان الموفق يلاحظ الأمور الثلاثة التي ذكرناها.

وكذلك في الإفطار نتناول الإفطار؛ لأن الطبيعة تقتضي ذلك وتطلبه، فنأكله تمتعاً وتلذذاً؛ لكن هل نحن نشعر بأن الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يقول: (إذا أفطر أحدكم فليفطر على رطب، فإن لم



يجد فعلى تمر، فإن يجد فعلى ماء) هل نشعر بهذا؟! وأنا نفطر
امثالاً لأمر الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ؟! أو نشعر بأننا نفطر ونبادر
بالفطور رجاء الخير؛ لأن النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يقول: (لا يزال
الناس بخير ما عجلوا الفطر)؟ واحرص أن تكون مائدة الإفطار
عندك وقت الأذان، من أجل أن تبادر، فلا يؤذن وأنت بعيد عن
الأكل، فإن أذن وأنت بعيد عن الأكل ربما يفوتك الخير، فبادر
بالأكل: (لا يزال الناس بخير ما عجلوا الفطر) وفي الأثر أن الله
تعالى يقول: (أحب عبادي إليّ أعجلهم فطراً).

إذن: العبادات عند الغافل عادات، والعبادات عند العاقل
عبادات، فكلنا يلبس الثياب عند الصلاة، وعند الخروج إلى
السوق، لكن هل نحن نشعر بلباسنا عند الصلاة أننا ممثلون قول
الله عز وجل: ﴿يَبْنِيْءَ آدَمَ حُذُوًا زَيْنَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ [سورة الأعراف:
آية ٣١] ومن عاداتنا أننا نغطي الرأس بالزينة، فالواحد منا يلبس
غتره وشماعاً، فهل إذا أراد أن يصلي يحرص على لباس الغتره
والشماع وجميع اللباس أم لا؟!



الجواب: نعم؛ لأن الله يقول: ﴿خُذُوا زِينَتَكُمْ﴾ [سورة الأعراف: آية ٣١]؛ لكن لو كنا في بلد اعتادوا ألا يلبسوا اللباس فوق الرأس، صار كشف الرأس عندهم لا نقص فيه، ولا ينقص الصلاة شيئاً؛ لأن الزينة لا تتناوله، فالزينة في كل موضع بحسبه. ^(١)



(١) انظر اللقاءات الرمضانية ص ٣٢٨ .



﴿ فائدة ﴾

كم من إنسان تعجل في التدريس والفتيا فندم؛ لأنه تبين له أن ما كان يقرره في تدريسه أو يفتي به في فتواه كان خطأً، والكلمة إذا خرجت من فم صاحبها ملكته، وإذا كانت عنده ملكها.

فليحذر الإخوة الذين هم في ريعان طلب العلم من التعجل وليتأنوا حتى تكون فتواهم مبينة على أسس سليمة، وليس العلم كالمال يتطلب الإنسان فيه الزبائن ليدرك من يبيع بل يدرك من يشتري منه، بل العلم إرث الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، فيجب على الإنسان أن يكون مستشعرًا حين الفتوى شيئين:

الأول: أنه يقول عن الله **عَزَّجَلَّ** وعن شريعة الله.

الثاني: أنه يقول عن رسوله الله **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**؛ لأن العلماء ورثة الأنبياء^(١).



(١) انظر كتاب العلم ص ١٣٦ .



﴿ فائدة ﴾

﴿ الإنسان إذا سعى يستحضر: ﴿

أولاً: سنة الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

وثانياً: حال أم إسماعيل وأنها وقعت في شدة عظيمة حتى أنجاها الله، فأنت الآن في شدة عظيمة من الذنوب فتستشعر أنك تحتاج إلى مغفرة الله عَزَّجَلَّ كما احتاجت أم إسماعيل إلى الغداء، واحتاج ولدها إلى اللبن، وقد قرأ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حين أقبل على الصفا: ﴿ إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ ﴾ [سورة البقرة: آية ١٥٨] أبدأ بما بدأ الله به، ليشعر نفسه أنه إنما طاف بالصفا والمروة؛ لأنهما من شعائر الله عَزَّجَلَّ ولذلك لا تقرأ هذه الآية إلا إذا أقبل على الصفا حين ينتهي من الطواف وأما بعد ذلك فلا تقرأ^(١).



(١) انظر الشرح الممتع ٧/ ٢٧١.



﴿ فائدة ﴾

هل الدّاعي إذا استعاذ بالله من عذاب القبر؛ يريد من عذاب مدفن الموتى، أم من عذاب البرزخ الذي بين موته وبين قيام الساعة؟

الجواب: يُريد الثاني؛ لأن الإنسان في الحقيقة لا يدري هل يموت ويُدفن، أو يموت وتأكله السّباع، أو يحترق ويكون رماداً، قال الله تعالى: ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ [سورة لقمان: آية ٣٤] فاستحضر أنك إذا قلت: «من عذاب القبر» أي: من العذاب الذي يكون للإنسان بعد موته إلى قيام الساعة^(١).



(١) انظر الشرح الممتع ٣/ ١٧٧.



﴿ فائدة ﴾

النية شرط في جميع العبادات، والكلام على النية من وجهين:

الأول: من جهة تعيين العمل لتمييز عن غيره، فينوي بالصلاة أنّها صلاة وأنّها الظهر مثلاً، وبالْحجّ أنه حجّ، وبالصّيام أنّه صيام، وهذا يتكلّم عنه أهل الفقه.

الثاني: قصد المعمول له، لا قصد تعيين العبادة، وهو الإخلاص وضده الشُّرك، والذي يتكلّم على هذا أرباب السُّلوك في باب التّوحيد وما يتعلّق به، وهذا أهمّ من الأوّل، لأنّه لبّ الإسلام وخلاصة الدّين، وهو الذي يجب على الإنسان أن يهتمّ به. وينبغي للإنسان أن يتذكّر عند فعل العبادة شيئين:

الأول: أمر الله تعالى بهذه العبادة حتى يؤدّيها مستحضراً أمر الله، فيتوضّأ للصلاة امتثالاً لأمر الله؛ لأنّه تعالى قال: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ﴾ [سورة المائدة: آية ٦]. لا لمجرد كون الوضوء شرطاً لصحة الصلاة.

الثاني: التأسّي بالنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لتحقّق المتابعة. (١)

(١) انظر الشرح الممتع ١ / ١٩٤ .



﴿ فائدة ﴾

ينبغي للطائف أن يكون دائماً في هدوء وطمأنينة، من أجل أن يستحضر ما هو متلبس به من طاعة الله، فقد قال النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «إِنَّمَا جَعَلَ الطَّوَّافُ بِالْبَيْتِ، وَبِالصَّفَا وَالْمَرَّةِ، وَرَمَى الْجِمَارِ، لِإِقَامَةِ ذِكْرِ اللَّهِ»^(١).



(١) انظر فقه العبادات ص ٣٩٢ .



﴿ فائدة ﴾

من الأخطاء التي يرتكبها بعض الحجاج عند رمي الجمرات: أن بعضهم يظن أن هذه الجمرات شياطين، وأنهم يرمون شياطين، فتجد الواحد منهم يأتي بعنف شديد وحنق وغيظ، منفعلًا انفعالاً عظيماً، كأن الشيطان أمامه، ثم يرمي هذه الجمرات، ويحدث من ذلك مفاسد:

أولاً: أن هذا ظن خاطئ، فإنما نرمي هذه الجمرات إقامة لذكر الله تعالى؛ واتباعاً لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وتحقيقاً للتعبد، فإن الإنسان إذا عمل طاعة وهو لا يدري فائدتها، إنما يفعلها تعبدًا لله، كان هذا أدل على كمال ذله وخضوعه لله عَزَّوَجَلَّ.

ثانياً: مما يترتب على هذا الظن: أن الإنسان يأتي بانفعال شديد وغيظ وحنق وقوة واندفاع، فتجده يؤذي الناس إيذاءً عظيماً، حتى كأن الناس أمامه حشرات لا يبالي بهم، ولا يسأل عن ضعيفهم، وإنما يتقدم كأنه جمل هائج.



ثالثاً: مما يترتب على هذه العقيدة الفاسدة: أن الإنسان لا يستحضر أنه يعبد الله عزَّجَلَّ أو يتعبد لله عزَّجَلَّ بهذا الرمي، ولذلك يعدل عن الذكر المشروع إلى قول غير مشروع، فتجده يقول حين يرمي: اللهم غضباً على الشيطان، ورضاً للرحمن، مع أن هذا ليس بمشروع عند رمي الجمرة، بل المشروع أن يكبر كما فعل النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ^(١).



(١) انظر فقه العبادات ص ٤٣٥ .



﴿ فائدة ﴾

يقول بعد رفعه من الركوع: (ربنا لك الحمد) ، أو (ربنا ولك الحمد) أو (اللهم ربنا لك الحمد) أو (اللهم ربنا ولك الحمد)، فالصفات أربع مختلفة وهل يقولها في آن واحد؟
الجواب: يقول هذا مرة وهذا مرة.

وهذه قاعدة ينبغي لطالب العلم أن يفهمها: أن العبادات إذا وردت على وجوه متنوعة فإنها تفعل على هذه الوجوه، على هذا مرة وعلى هذا مرة.

وفي ذلك ثلاث فوائد:

الفائدة الأولى: الإتيان بالسنة على جميع وجوهها.

الفائدة الثانية: حفظ السنة، لأنه لو أهملت إحدى الصفتين لنسيت ولم تحفظ.

الفائدة الثالثة: أن لا يكون فعل الإنسان لهذه السنة على سبيل العادة، لأن كثيراً من الناس إذا أخذ بسنة واحدة صار يفعلها على سبيل العادة ولا يستحضرها، لكن إذا كان يعود نفسه أن يقول هذا مرة وهذا مرة صار متنبهاً للسنة. (١)

(١) انظر مجموع الفتاوى ٣٧٦/١٣.



﴿ فائدة ﴾

عندما تقول: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [سورة الفاتحة: آية ٦] هل

أنت تسأل الله علماً بلا عمل، أو عملاً بلا علم، أو علماً وعملاً؟

الجواب: ينبغي للإنسان إذا دعا الله بقول: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾

﴿سورة الفاتحة: آية ٦﴾ أن يستحضر أنه يسأل ربه العلم والعمل.

فالعلم الذي هو الإرشاد، والعمل هو التوفيق، وهذا فيما أظن

- والعلم عند الله - أنه يغيب عن بال كثير من الناس عندما يقول:

﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [سورة الفاتحة: آية ٦] (١).



التصميم الداخلي للكتاب

Tharwat Sultan

لتواصل: 00201019530152

TharwatSultan@yahoo.com

(١) انظر مجموع الفتاوى ١٤٦/١٤.